جامعة إب
مجلة الباحث الجامعي
ISSN: 2079-5068 ISSN (online): 2663-3930

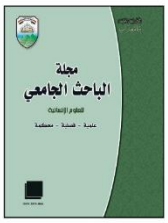

صورة الإسلام في الفكر الغربي وأثرها في الإساءات المتكررة للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) بحث في المصادر والجذور

ناجي علي محمد الصناعي
قسم علوم القرآن والدراسات الإسلامية، كلية العلوم التطبيقية والتربوية، جامعة إب، اليمن
*Email: nag774254176@gmail.com

الكلمات المفتاحية:
التمثيل، الإسلام، الفكر الغربي، النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، التشهير.

الملخص:

يرصد هذا البحث مفردات صورة الإسلام عامة والنبي– صلى الله عليه وسلم– خاصة في الفكر الغربي القديم والحديث والمعاصر، ويبين أثر هذه الصورة في الإساءات المتكررة للنبي– صلى الله عليه وسلم–، من خلال تفنيد محتوى هذه الصورة، بالوقوف على المصادر والجذور والعوامل العقائدية الدينية والفكرية الثقافية والسياسية التاريخية التي ساهمت في تكوين مفرداتها ورسختها في الذاكرة الجمعية الغربية. وصولًا إلى الأطر والمؤسسات التي تقف وراءها وتعمل على إعادة إنتاجها وترويجها قديمًا وحديثًا، بالقدر الذي جعل هذه الصورة القاعدة الأساسية التي انطلق منها الوعي الغربي بالإسلام عامة والنبي– صلى الله عليه وسلم – خاصة.

صورة الإسلام في الفكر الغربي وأثرها في الإساءات المتكررة للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) بحث في المصادر والجذور

Islam Stereotype in the Western Ideology and Its Impact on the Frequent Labels of the Prophet Mohammad (Peace Be Upon Him)، a Study of the Sources and Origins

Naji Ali Mohammed AL-SENAEAI

Department of Quran Sciences and Islamic Studies، Faculty of Arts، Ibb University، Yemen

*Email: nag774254176@gmail.com

Keywords:

Stereotype، Islam، Western Ideology، Prophet Mohammad (Peace Be Upon Him)، Libels.

Abstract:

This study investigated the Islam stereotype in general and the prophet Mohammad (peace be upon Him) in particular in the traditional، modern and contemporary western ideology. It illustrated the impact of the repeated misrepresentations for the Prophet Mohammad (peace be upon Him) through refuting the content of these misrepresentations، focusing on the dogmatic، religious، ideological، political، cultural، and historical factors that contributed to shaping its components and intrenched them in the collective western minds in an attempt to reach the frameworks and institutions that stand behind them. It also worked on reproduce and circulate them in the past and now. In a way that this misrepresentation has been the essential start point to form the western awareness about the Islam in general and the prophet Mohammad (peace be upon Him) in particular.

مقدمة البحث:

الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمةَ للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن هذا البحث قد تزامن مع ما شهده العالم في السنوات العشر الأخيرة من إساءات متكررة إلى النبي – صلى الله عليه وسلم –، وقد كُتبت سطوره الأولى في عام 2005م مع نشر صحيفة " النيوز لاند بوسطن الدنماركية " اثني عشر رسمًا كاريكاتيريا مسيئًا للنبي – صلى الله عليه وسلم –، وسألت حينها عن الأسباب الكامنة وراء هذه الإساءات، وتدارست ردود الأفعال البحثية العلمية فلم أجد أحدًا قد تناول هذا الموضوع في رسالة علمية أكاديمية باستثناء بعض المقالات الصحفية المتفرقة هنا وهناك ردود الأفعال الشعبية ممثلة ببعض المظاهرات والاحتجاجات في عدد من العواصم العربية والإسلامية، وقلت في نفسي لعلها حوادث فردية ليس إلاّ، وانتهيت كما انتهى الكثير من المهتمين بهذا الشأن وانصرفت إلى أعمالٍ بحثية أخرى.

ومع ظهور الفلم الأمريكي المسيء للنبي – صلى الله عليه وسلم –عام 2012م، وغيرها من المظاهر كتمزيق المصحف الشريف في أكثر من منطقة في العالم على يد بعض المتطرفين هنا وهناك، أدركت بأن ما حدث ويحدث وسيحدث من إساءات للإسلام ونبيه – صلى الله عليه وسلم – وإن كانت أفعالًا فردية تظهر بين الفينة والفينة وتلقى الإدانة والاستهجان في العالمين العربي والإسلامي والعالم الغربي، إلاّ أنها تعد ظاهرةً تستحق الدراسة والبحث عن جذورها وأسبابها ودوافعها وخلفياتها والعوامل التي تقف وراءها.

وذلك بالعودة إلى المصادر التاريخية التي كونت علاقة الغرب بالإسلام منذ القدم، والتي عبرت عن السجال الإيجابي تارة والسلبي تارةً أخرى بين الغرب والإسلام، وبما يعزز التفاعل الإيجابي بين الغرب والإسلام في ظل الدعوات المتكررة لحوار الأديان والحضارات المختلفة على مبدأ احترام الخصوصيات الثقافية والدينية واحترام الأديان والرموز الدينية العقائدية.

مشكلة البحث:

تتلخص مشكلة البحث في الأسئلة الآتية:

1– ما هي صورة الإسلام ونبيه – صلى الله عليه وسلم –في الفكر الغربي؟ وكيف تكونت؟

2– ما هي الجذور العقائدية والتاريخية التي ساهمت في تكوينها؟

3– ما علاقة هذه الصورة بالإساءات المعاصرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم؟ وكيف يمكن تفاديها مستقبلًا؟

أهداف البحث:

يسعى البحث لتحقيق الأهداف الآتية:

1– بيان موقف الفكر الغربي من الإسلام ونبيه – صلى الله عليه وسلم –قديمًا وحديثًا.

2- بيان الدوافع والأسباب والمؤسسات والأطر التي وقفت وتقف على تشويه صورة الإسلام والنبي- صلى الله عليه وسلم-.

3- إيجاد السبل الكفيلة بتفادي وقوع مثل هذه الإساءات للرموز الإسلامية المقدسة.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في الآتي:

1- يضع اليد على الأطر الفكرية والعقائدية التي تغذي الإساءات ويبين موقفها من الإسلام وتعرية مخططاتها على طريق التعامل معها.

2- يزود دوائر الفكر والسياسة في العالمين العربي والإسلامي برصد دقيق لمصادر تشويه صورة الإسلام في الغرب.

3- المساهمة في التفاعل الإيجابي بين الغرب والإسلام.

فرضيات البحث:

1- تكونت صورة الإسلام والنبي – صلى الله عليه وسلم –في الفكر الغربي بفعل عوامل تتعلق بالتفاعل بين الإسلام والغرب.

2- استقاء الفكر الغربي صورة الإسلام والنبي – صلى الله عليه وسلم –من مصادر ذاتية داخلية.

منهجية البحث:

1- المنهجية التاريخية التي تتبع الكتابات الغربية عن الإسلام والنبي – صلى الله عليه وسلم –منذ فجر الإسلام وحتى اليوم.

2- المنهجية التحليلية الوصفية التي تحلل مفردات هذه الكتابات التي كونت صورة الإسلام والنبي – صلى الله عليه وسلم –في المخيل الغربي عبر العصور.

حدود البحث:

1- الحدود الزمنية وتتعلق بمحاولة التعرف على المكتبة الأوروبية الغربية منذ القرن الثامن الميلادي وحتى اللحظة.

2- الحدود المكانية: العالمان الإسلامي والغرب الأوروبي

هيكل البحث:

يقسم البحث إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة بالاستنتاجات والتوصيات والمقترحات على النحو الآتي:

1- مقدمة تمهيدية تتعرض لمصطلحات البحث وتحددها.

2- المبحث الأول: الجذور العقائدية والتاريخية:

ويتضمن ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: صورة المسيح عليه السلام في العهدين القديم والجديد

المطلب الثاني: الجذور التاريخية

المطلب الثالث: الدور اليهودي في رسم صورة الإسلام والنبي – صلى الله عليه وسلم –في الغرب

3- المبحث الثاني: مكونات وأنماط صورة النبي – صلى الله عليه وسلم –في الفكر الغربي

ويتضمن ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: النمط السياسي ألاستخباراتي
المطلب الثاني: النمط الفلكلوري الشعبي
المطلب الثالث: النمط الاستشراقي الفلسفي
5- النتائج والتوصيات

التمهيد:

قبل الولوج في الموضوع سوف نتطرق هنا لتحديد مصطلحات البحث على النحو الآتي:

1- **الصورة:** هي الأثر الباقي في الذهن بعد زوال العناصر المكونة له سواء كان العنصر المكون له مرئيًا أو مقروءً أو مسموعًا، وهذا الأثر يصبح وعيًا في الذهن يترجم إلى فعل ملموس، إما أن يكون فعلًا إبداعيًا وإما أن يكون فعلًا سلبيًا هدامًا كأفعال الإساءات إلى الآخرين بالكلمة أو المشهد الذي يصور الأشياء والأشخاص على غير الحقيقة الملموسة في الواقع " والواقع هو ما لا يمكن التعبير عنه إلا من خلال معايشته "[1] .

2- **الفكر الغربي:** الفكر بصفة عامة في اللغة، مصدر فكر يفكر تفكيرًا، قال ابن فارس: (فكر: الفاء والكاف والراء حروف أصلية تعني تردد القلب في الشيء، يقال تفكر إذ ردد قلبه معتبرًا، ورجل فكير: كثير الفكر)[2] . وقال الفيروز أبادي (الفكر: بكسر الفاء: إعمال النظر في الشيء كالفِكرة والفكري بكسرهما جمع: أفكار)[3].

وعرفه ابن منظور بأنه: (إعمال الخاطر في الشيء)[4] . وقال الجرجاني: (الفكر: ترتيب أمور معلومة لتؤدي إلى مجهول)[5] ويأتي بمعنيين، النظر والروية (تردد القلب بالنظر والتدبر في طلب المعاني)[6]، والإحاطة بالشيء (ترتيب أمور في الذهن يتوصل بها إلى مطلوب يكون علمًا أو ظنًا)[7].

والفكر خاصية بشرية، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝١٨ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝٢٠ ثُمَّ نَظَرَ ۝٢١ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝٢٢ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ۝٢٣ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۝٢٤﴾ [المدثر: 18-24].

ومن هنا يكون الفكر اجتهادًا بشريًا غير معصومٍ، لا يتصف بصفة الكمال وأحكامه لا تحتمل اليقين وقد يبنى على أصول صحيحة وقد يبنى على أصول احتمالية تراتبية تخلو من المبادأة.

أما اصطلاحًا فقد عُرف الفكر بعدد من التعريفات أهمها:

يقول الإمام الغزالي (أعلم أن معنى الفكر هو إحضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة)[8].

ويعرفه الفلاسفة بأنه " إعمال العقل في الأشياء للوصول إلى معرفتها وهو مرادف النظر العقلي (reflection) والتأمل (meditation) ويقابل الحدس (intuition)[9] . وإيما كان الفكر عقليا موضوعيًا إلاّ أنه محكومٌ بذاتية المفكر المعبرة عن تراكمات التجارب المعرفية السابقة والظروف والملابسات المحيطة بحياة المفكر.

ويعرف الفكر الغربي بأنه " ذلك النشاط المنظم الذي تفتقت عليه العقلية الأوروبية ثقافيًا وسياسيًا وأخلاقيا دينيًا "[10]. أي كل ما أنتجه العقل الغربي المعتمد على الأصول والأسس

الغربية للحضارة الأوروبية قديمها وحديثها بشقيها الروماني واليوناني والمسيحي والأوروبي الحديث. والغرب بالمعنى الجغرافي الذي نقصده هنا هو أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية وكندا.

3- **الذاكرة الجمعية: هي** مجموعة الآراء والأفكار والتصورات الدينية والفكرية والثقافية التي تكونت في ذهن الإنسان الغربي على مدى ثلاثة عشر قرنًا وحتى اللحظة عن الإسلام بصفة عامة والنبي – صلى الله عليه وسلم –بصفة خاصة.

4- **الإساءات:** هي كل فعلٍ معنوي جارحٍ صدر من فرد أو شخص أو مجموعة أشخاص أو مؤسسة رسمية أو شخصية شعبية أو دينية أو سياسية تجاه شخصية اعتبارية دينية كالأنبياء والرسل والرموز والقيم الدينية الإسلامية خاصة والسماوية عامة.

المبحث الأول: الجذور العقائدية والتاريخية

ويتضمن ثلاثة مطالب

المطلب الأول: صورة المسيح عليه السلام في العهدين القديم والجديد

1- صورة المسيح عليه السلام في العهد القديم:

لما كان الفكر احتماليًا لا يقينيًا يتأسس بدايةً على المخزون الفكري الذي ألفه المفكر في محيطه التكويني، فإن رسمه لصورة الغير والوعي به لا تتم بمعزل عن صورته ومفهومه لذاته، فلما كانت الصورة التي نحن بإزائها هي صورة النبي – صلى الله عليه وسلم –، فإن الفكر الغربي يفتقر إلى المصادر المعرفية لتكوين هذه الصورة، فقد ارتبطت صورة الإسلام ونبيه – صلى الله عليه وسلم –في الفكر الغربي بصورة المسيح عليه السلام في المصادر العقائدية الدينية اليهودية[11]، إذ يرسم التلمود صورةً قاتمة للمسيح اشتملت على ألفاظ السب والتجريح، فقد جاء في طبعة أمستردام عام1645م التي نقلها جوزيف بار كلي أستاذ الأدب العبري بالجامعة العبرية بتل أبيب ما يلي:

"that man, such an one, the leper, the deceiver of Israel, josh ben para-chia, sinful book

ويمكن ترجمتها ذلك الرجل، مثل ذلك الرجل، أحمق، المجذوم، غشاش بني إسرائيل، ابن الجندي يوسف بنديرا حبلت به أمه قبل زواجها، والمعجزات التي قام بها كانت نبوءة السحر، تعلمها أثناء إقامته بمصر على يد يوسف بن برخيا، والعهد الجديد إثم وتلاميذه ملحدون "[12].

ويؤكد ظفر الإسلام خان زيف التلمود تاريخيًا كون يوسف بن برخيا قد مات قبل المسيح عليه السلام بسبعين عامًا [13]. وجاء في طبعة سان بطرس بورج من التلمود أن المسيح عليه السلام " ذلك الرجل الذي شنق ابن غير شرعي لنجار ابن نجار، ومجنون، ساحر، مشعوذ، مضلل، مخبول، صلب ثم دفن في جهنم في كومة قذرة حيث تطرح الكلاب والحمير النافقة، ويصفه أتباعه منذ ذلك الحين وثنًا لهم "[14].

وبالرغم من ذلك إلاّ أن اليهودية أغرقت في بيان صفات وأوصاف المسيح باعتباره مخلصًا لشعب إسرائيل وأنه من نسل داوود لدرجة أنه

سيكون ملكًا من ملوك الدنيا [15]. وورد في سفر التكوين: (لا يزول قضيب من يهود ومشترع بين رجلين حتى يأتي شيليون وله يكون خضوع شعوب..)[16]، وقد ارتبط قول اليهود بمجيء المسيح المخلص باليوم الآخر وافتراض نهاية العالم وجمع الشتات وإعادة بناء الهيكل وقيامة الأموات[17].

ويختلف اليهود في زمن مجيئه هل هو قريب أم بعيد؟ فهناك طائفة تراه بعيدًا وتعتمد على ما جاء في سفر العدد: (أراه ولكن ليس قريبًا أراه ولكن ليس الآن، أبصره ولكن ليس قريبًا يبرز كوكب يعقوب ويقوم قضيب من إسرائيل ويحطم طرفي موان ويهلك كل بني الوغى)[18]. وطائفة أخرى رأته قريبًا وحددت مجيئه نهاية العام1000 للميلاد، في الوقت الذي تبشر المسيحية قرب نهاية العالم بسنة في العام نفسه وافترقت مع اليهودية التي تؤمن بمجيء المسيح المخلص، ففي الوقت الذي ترى المسيحية أن المخلص هو المسيح عليه السلام، نجد اليهودية لا تعترف به وتصفه بابن الزنا [19].

ويصف ميمونيدس[20] المسيح عليه السلام بالأوصاف نفسها التي وصفه بها التلمود، ويضيف عليها نفيه لصفة النبوءة عن المسيح عليه السلام فيصفه بأنه " كاذب، وثن منحوت، مهرطق، وتعاليمه مستحيلة الإدراك، وكل المسيحيين وثنيون عبدة النجوم والكواكب وأبيقوريون[21]، وزناة، وأما كتبهم الأناجيل فهي هرطقة (minim) وكتب بيت الهلاك (debeth cipher) وكتب الخطيئة (Avon giloin) "[22].

ولا يقف موسى بن ميمون كيهودي عند حدود نفي صفة النبوءة عن المسيح عليه السلام دحضًا للمسيحية بل يمزج ذلك الموقف بالتطلعات اليهودية نحو فلسطين حيث يقول عن المسيح عليه السلام " لو نجح في جميع الأعمال التي ينفذها ولو عاد بناء الحرم المقدس في موقعه، ولم شمل شعب جميع قبائل إسرائيل المشتتة عندئذ سيكون هو المسياه، لكنه إن لم يفعل وقتل فهو إذًا ليس ذلك المسياه "[23]. وقد ذكر ابن ميمون أوصافًا للمسيح المخلص غاية في العصبية والتطرف حيث قال ينبغي أن يكون من نسل داوود ويدفع الناس إلى التوراة.

مع أن هذه النصوص حديثة العهد بالنظر إلى حياة كاتبها موسى بن ميمون الذي أعاد شرح المشناه التي دونها يهوذا هاناسي بين 190-200م، فإن من المرجح أن تكون هذه الصورة القاتمة عن المسيح عليه السلام قد انتقلت من اليهودية إلى المسيحية في أوروبا القديمة بشقيها الشرقي (بيزنطة) والغربي(روما) ثم إلى الأقوام والدول التي قامت على أنقاض الإمبراطورية الرومانية، فأسست هذه الصورة المقدمة الأولى التي يبني عليها رجال الكنيسة المسيحية ورجال السياسة والفكر الغربي، صورة أي نبي يأتي بعد المسيح عليه السلام، سيما وأن المسيحية كديانة نزلت على اليهود، وامتزجت بالموروث الروماني والإغريقي فشكلت نواة الفكر اللاهوتي المسيحي

في العصور الوسطى، بالقدر الذي أكسبها الأساس النظري القائم على النزعة العنصرية المتمركزة حول الذات والتي ترفض الآخر شكلًا ومضمونًا، وتعزز النفعية المادية التي أفرغت المسيحية والفكر اللاهوتي المسيحي من جوانبها العقائدية والروحية، وجعلت رجل الكنيسة وقسها وراهبها لا يتصور الشعائر التعبدية ورموزها إلا من خلال نفعها المادي " ففي القداس لا تظهر الروح المقدسة إلا من خلال المادة ولا يقوم الحضور الإلهي إلا من خلال الخبز المقدس ولا يقدس كتاب العهد الجديد إلا بتجليده بالذهب والفضة ومن يقوم عليه لا يسكن إلا في القصور المحلاة بالذهب والفضة"[24].

2- صورة المسيح عليه السلام في العهد الجديد:

إزاء الصورة التي رسمها العهد القديم للمسيح عليه السلام كان لزامًا على العهد الجديد أن يقدم صورة مخالفة تجاوزت حدود بشرية المسيح عليه السلام إلى حد تأليهه بالقول بالأقانيم الثلاثة الأب والابن والروح القدس[25]، فيصبح الثلاثة واحدًا والواحد ثلاثة – تعالى الله عما يصفون– أي الله سبحانه والمسيح عليه السلام ومريم العذراء كل واحدٍ منهم يصبح إلهًا كاملًا وإنسانًا كاملًا بصفتيه الناسوتية واللاهوتية، فقد جاء في إنجيل يوحنا " أن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة الأب والكلمة والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد والذين يشهدون في الأرض هم ثلاثة الروح والدم والماء والثلاثة هم واحد "[26].

وتحقيقًا لهذا المسعى اعتقدت المسيحية أن الناس قد توارثوا خطيئة آدم عليه السلام وأن البشرية كلها قد تدنست بالخطيئة وبفعل ناموس العدل استحقت الهلاك الأبدي بسبب إنسان واحد هو أبونا آدم عليه السلام[27]،

وبالمقابل صلب المسيح عليه السلام تكفيرًا عن خطايا الناس بحسب اعتقادهم، يقول بولس:" المسيح مات من أجل خطايانا.. "[28].

كان لهذا الإقرار بموت المسيح عليه السلام من قبل أهم الرسل الاثنى عشر الذين نشروا المسيحية وتعاليمها أوقع المسيحية فيما ذهبت إليه اليهودية لما جاء المسيح ليخالفها في أهوائها فعادوا وقالوا بعودة المسيح عليه السلام ليملأ الأرض عدلًا ويخلص البشرية من الظلم في مخالفة للتعاليم التلمودية التي أنكرت عودة المسيح بالقول بأن الأيام المقررة لعودته قد انتهت.

وفكرة المسيح المخلص مع أن التلمود – ربما لحداثة تأليفه – يرفضها حين تتعلق ببعدها المسيحي العقائدي، إلا أنه لا يرفضها حين تتعلق ببعدها التاريخي الخاص باليهود وطموحاتهم السياسية بما يسمونه أرض الميعاد، فهي فكرة قديمة داعبت خيال الشعوب منذ القدم، نتيجة ما عانته من المظالم العسكرية والاقتصادية والسياسية فهذه المظالم مثلت أرضًا ومعادلًا موضوعيًا يعبر عن أمل الشعوب في الخلاص مما هي فيه على يد هذا المخلص أيًا كان نبيًا أو قائدًا عسكريًا، وفي حالة بني إسرائيل كان لسقوط مملكة داوود على أيدي الأشوريين وسليمان على يد البابليين

وحدوث السبي اليهودي سنة 586ق.م، فهذه الأحداث كان لها الأثر الأكبر في ظهور فكرة مسيح مخلص له وظيفة سياسية تبنت في الأصل إمكانية بعث مملكة إسرائيل في المستقبل، ثم اصطبغت هذه الوظيفة السياسية بصبغة دينية بحيث أصبح للمسيح المنقذ دور في تحقيق الخلاص الديني والسياسي لشعب إسرائيل بواسطة المزج بين هاتين الوظيفتين السياسية والدينية، فأصبح قدوم المسيح المخلص بالنسبة لهم سيحقق لهم مملكة الله على الأرض في نهاية الزمان[29] .

ومن هنا نخلص إلى أن احترام وتقدير الأنبياء في اليهودية لا يقوم على كونهم رسل الله سبحانه وتعالى إلى أممهم ولكن بمقدار ما يحقق طموحاتهم الآنية والشخصية، وليس أدل على ذلك من تصوير الإله في العهد القديم بصورة الآدمي الذي يغضب ويسرح ويمرح في جبل صهيون كما يفعل البشر ويسعى للحصول على القرابين البشرية مهما كلف الثمن. والمسيح عليه السلام بالنسبة لليهود ليس إلاّ بشرا حقيرا.

3- صورة الأنبياء والرسل في القرآن الكريم:

عظم القرآن الكريم جميع الأنبياء والرسل واعتبرهم جميعًا أصحاب رسالات سماوية لا تفضيل بينهم قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [البقرة: 285].

واعتبر الأنبياء والرسل بشرًا مبشرين ومنذرين اصطفاهم الله تعالى لتبليغ رسالاته وهداية الأقوام الذين خصهم الله بأنبيائه، ليدعوا الناس إلى دين التوحيد ونبذ الشرك وإصلاح حال الأمم بإخراجها مما كانت فيه من الضلال إلى النور.

وقد خالف القرآن الكريم الكتب السابقة سواء من حيث تصورها واعتقادها بالله تعالى، أو من حيث تصويرها للأنبياء والرسل أو من حيث الشرائع التي أكملت الديانات السابقة اعترافها بها وبيان مواضع تحريفها وزيغها عن الإسلام الدين الحق، وذلك في مواطن كثيرة أهمها:

1- تنزيه الله سبحانه وتعالى عن مماثلة مخلوقاته كإدعاء اليهود إن لله ولدًا، وأن المسيح عيسى ابن مريم ابن الله، قال تعالى في سورة الإخلاص: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾[الإخلاص:1-4]

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَانَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١﴾ [النساء: 171].

2- ادعاء اليهود والنصارى أنهم شعب الله المختار وأنهم وحدهم من يرثون الجنة قال تعالى في سورة المائدة: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًاۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ [المائدة :17-19].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ [البقرة :111].

3- ميز القرآن الكريم بين اليهود والنصارى حتى لا تختلط الأوراق على الناس قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [البقرة: 113].

وقال تعالى: ﴿۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [المائدة: 82].

المطلب الثاني: الجذور التاريخية

1- موقف المسيحية من الإسلام:

اعتنقت الإمبراطورية الرومانية الديانة المسيحية وساهمت في انتشارها بعد تنصر قيصرها قسطنطينيوس عام 313م وفي عام 380م امتزجت العقيدة المسيحية بالسياسة الإمبراطورية وأصبحت الديانة المسيحية الديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية، فاتسعت المسيحية بحجم اتساع الإمبراطورية الرومانية شرقًا وغربًا، وضاعف من ذلك الاتساع بروز الكنيسة كراعية لتوجهات الإمبراطورية الرومانية التوسعية، إذ صورت الكنيسة لأباطرة الرومان أنهم أصحاب رسالة الحق والعدل والاستقامة والأخلاق، وفي الوقت نفسه أنكروا وجود العدل والاستقامة والأخلاق لدى الأمم والأديان الأخرى، ومنذ ذلك الحين لم يعد بمقدور الديانة المسيحية مقاومة العنف بالتسامح الذي عرفت به، ودعت الضرورة

إلى التوفيق بين العقائد المسيحية الرئيسة، وبين حاجة الإمبراطورية إلى استخدام القوة والعنف في سبيل السيطرة المؤثرة والفاعلة في علاقتها مع الآخرين، وبدأ رجل الكنيسة يصوغ المفاهيم والمقولات والنظريات التي يسير عليها رجل السياسة والحكم، وليس أدل على ذلك من نظرية الحرب العادلة التي ظهرت في تلك الحقبة على يد القديس أوغسطينيوس القائل " من يسع إلى السلام فليستعد للحرب "[30]، التي شكلت الغطاء النظري للحروب الصليبية ضد العالم الإسلامي فيما بعد.

ومع بزوغ فجر الإسلام في الجزيرة العربية بدأ السجال بين المسلمين والمسيحيين، وقد أخذ هذا السجال بعدين أحدهما إيجابي والآخر سلبي، فالأول أخذ على عاتقه التفاعل الإيجابي ممثلًا بنقل التراث الإسلامي إلى أوروبا عن طريق الترجمة من العربية إلى العبرية وإلى اليونانية حيث حظي اليهود والنصارى في الدولة الإسلامية بتسامحٍ وعدلٍ وأمن واطمئنان ورغد عيش، وتتلمذ اليهود والمسيحيون على يد المسلمين وأصبحوا شيوخًا في الترجمة أمثال حنين ابن إسحاق(ت/873م) وابن أخته حبيش بن الاعسم (ت/911م) وابنه إسحاق بن حبيش ويوحنا مأسويه وجبرائيل عبد الله وقسطا بن لوقا البعلبكي (ت/921م) وظل هذا وضعهم في الدولة الإسلامية حتى نهاية الدولة العثمانية.

والشق الثاني هو الشق السلبي المتمثل بالسجال الحربي، إذ شكل الإسلام تحديًا سياسيًا وعقائديًا وجغرافيًا حد من تطلع أوروبا المسيحية نحو التوسع في حدودها خارج حدود الشام إلى جزيرة العرب، وسقوط القلاع الرومانية الواحدة تلو الأخرى وإسلام عمال الرومان من العرب بعد الفتوحات الإسلامية في بلاد الشام وفتح شمال أفريقيا والأندلس وحمل الإسلام للقيم الإنسانية والأخوية التي توحد الله وتحترم أنبياءه ورسله جميعًا [31].

2- موقف النبي - صلى الله عليه وسلم - من اليهود:

عقب هجرة النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة المنورة، عقد كتابًا لليهود والنصارى جاء فيه: (.. إن اليهود يتفقون مع المؤمنين، وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ومواليهم وأنفسهم إلا ظن ظلم وإثم لا يوثغ - يهلك - إلا نفسه وأهل بيته، وإن ليهود بني النجار وبني الحارث وبني ساعدة وبني جشم وبني الأوس وبني ثعلبة وبني الشطنة مثل ما ليهود بني عوف وأن بطانة يهود كأنفسهم.. وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح والتناصح والبر دون الإثم ... وان النصر للمظلوم.. وأن الجار كالنفس غير مضار .... وأن بينهم النصر على من دهم يثرب وإذا دعوا إلى صلح فإنهم يصالحون ... وأنه من خرج أمن ومن قعد أمن بالمدينة، إلا من ظلم أو أثم وإن الله جار لمن بر واتقى)[32].

وبهذا الكتاب يكون الإسلام قد كفل لليهود الأمور الآتية:

1- الحرية الدينية الكاملة واعتبرهم مكونًا أساسيًا من مكونات الجماعة الإسلامية المدنية الناشئة في المدينة المنورة.

2- النصح والنصيحة والبر دون الإثم، أي المشاركة في اتخاذ القرار أسوة مع المسلمين.

3- النصرة على من حارب هذه الصحيفة.

4- النصر على من دهم يثرب، النصر على من حارب الدولة الإسلامية مثلهم مثل المسلمين.

5- ليس هذا الحق لليهود وحدهم بل لبطانتهم ومواليهم أيضا فهم في الحقوق سواء.

3- موقف النبي - صلى الله عليه وسلم - من النصارى:

لم يكن اليهود وحدهم من حصل على هذه الحقوق والامتيازات بل إن النصارى كذلك فقد كتب - صلى الله عليه وسلم -كتابًا للنصارى في العالم كله جاء فيه ما يأتي:

(هذا كتاب محمد بن عبد الله النبي - صلى الله عليه وسلم -لأهل ملة النصارى ولمن تنحل دين النصرانية من مشارق الأرض ومغاربها قريبها وبعيدها، فصيحها وعجمها، معروفها ومجهولها، جعل لهم عهدًا إن احتمى راهب أو سائح في جبل أو واد أو منارة أو عمران أو سهل أو رمل أو بيعة فأنا أكون من ورائهم أذب عنهم من كل غيرة لهم بنفسي وأعواني وأهلي وملتي وأتباعي، لأنهم رعيتي وأهل ذمتي، وليس عليهم جبر ولا إكراه على شيء من ذلك، ولا يغير أسقف من أسقفيته ولا راهب من رهبانيته ولا حبيس صومعة ولا سائح من سياحته، ولا يهدم بيت من بيوت كنائسهم وبيعهم، ولا يدخل شيء من مال كنائسهم في بناء مساجد المسلمين ولا في بناء منازلهم فمن فعل شيئًا من ذلك فقد نكث عهد الله وعهد رسوله، ولا يحمل على الرهبان والأساقفة ولا من يتعبد جزية ولا غرامة، وأنا أحفظ ذمتهم أينما كانوا من بر أو بحرِ في المشرق والمغرب والجنوب والشمال، وهم في ذمتي من كل مكروه، وكذلك من يتفرد في العبادة في الجبال والمواضع المباركة لا يلزمهم مما يزرعونه لا خراج ولا عشر ولا يشاطرون برسم أموالهم ولا يلزمون بخروج في حرب، ويحفظونهم تحت جناح الرحمة يكف عنهم أذية المكروه، حيثما كانوا، وحيثما حلوا، وإن صارت النصرانية عند المسلمين فعليهم رضاها وتمكينها من الصلاة في بيعها ولا يحال بينها وبين هوى دينها، ومن خان عهد الله واعتمد بالضر من ذلك فقد عصا ميثاقه ورسوله، ويعاونوا على حرمة بيعهم ومواضعهم ولا يلزم أحد منهم بنقل سلاح ولا يخالف هذا العهد أبدًا إلى حين تقوم الساعة وتنقضي الدنيا)[33].

وقد تضمن هذا العهد للنصارى الآتي:

1- هذا العهد يعم النصارى في مشارق الأرض ومغاربها.

2- أنه عهد قائم بين المسلمين والنصارى إلى قيام الساعة.

3- الحرية الدينية الكاملة لهم فلا جبر ولا إكراه.

.4- المواطنون النصارى مثلهم مثل المسلمين من حيث الحقوق والواجبات.

5- حفظ ذمة رسول الله فلا يتعرض لهم أحد بأذى، وتوفير الحماية لهم ولرهبانهم وقساوستهم، فلا يغير أسقف من أسقفيته ولا راهب من رهبانيته ولا سائح من سياحته، ولا يحمل على أحد منهم جزية، ولا يلزم أحد منهم بحمل السلاح ولا نقله مقابل ما يدفعونه من جزية.

6- لا يهدم بيت من بيوت كنائسهم ولا يدخل شيء من مال كنائسهم في بناء مساجد المسلمين.

وبعد هذا الكتاب وفد نصارى نجران على النبي – صلى الله عليه وسلم –في المدينة وهو في مسجده وقت صلاة العصر ودنت الصلاة واستأذنوا النبي صلى الله عليه وسلم، فقال لهم:" دونكم تلك الزاوية"، فصلوا في مسجده، فدعاهم إلى الإسلام فقالوا: أسلمنا. فقال لهم: كذبتم؛ يمنعكم عن الإسلام ثلاث قولكم إن لله ولدًا، وعبادتكم الصليب، وأكل لحم الخنزير، فقالوا من أبوه يا محمد؟ فصمت – صلى الله عليه وسلم –حتى أنزل الله تعالى قوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران:59]. فأسلموا وكتب لهم كتابًا جاء فيه: (.. ولنجران وحسبها جوار الله وذمة محمد على أنفسهم وملتهم وأرضهم وأموالهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وبيعهم وتبعهم وألا يغيروا ما كانوا عليه، ولا يغير حق من حقوقهم ولا ملة من مللهم ولا أسقف من أسقفيته ولا راهب من رهبانيته...)[34]

ومن هنا يتضح أن هاتين الوثيقتين عبرتا عن:

1- التسامح الديني الذي نم عن عظمة الروح الإنسانية للنبي صلى الله عليه وسلم، وسمو أخلاقه وحسن خطابه لمن يخالفونه في الدين والاعتقاد، وقد انعكست هذه الروح في خلفائه من بعده رضوان الله عليهم، فقد أعطى عمر بن الخطاب رضي الله عنه النصارى حينما فتح بيت المقدس عهدًا وأمانًا وذمة لأنفسهم وكنائسهم وأموالهم ويمنحهم الحرية الدينية الكاملة ويجيبهم على ما اشترطوه على أنفسهم ألا يساكنهم فيها يهودي [35].

2- التاريخ الإسلامي بالوقائع التي تبرز تسامح المسلمين وعدالتهم مع النصارى حيث شكت امرأة مسيحية عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب، أن عمرًا بن العاص قد أخذ دارها وأدخلها في المسجد كرهًا عنها، فأمر ابن الخطاب بهدم المسجد وإعادة الأرض إلى صاحبتها، كما اقتص لابن القبطي من ابن عمرو بن العاص قائلًا: (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا)[36].

لما كان هذا هو موقف النبي – صلى الله عليه وسلم –مع اليهود والنصارى وهو موقف إيجابي فهل كان موقف اليهود والنصارى إيجابيًا بالمثل؟

المطلب الثالث: الدور اليهودي في رسم صورة الإسلام ونبيه (صلى الله عليه وسلم) في الغرب:

1- موقف أحبار اليهود في مكة والمدينة من الإسلام:

منذ الوهلة الأولى لنزول الوحي على النبي – صلى الله عليه وسلم –ناصبه أحبار اليهود العداوة حسدًا وبغيًا لما خص الله به العرب من أخذه رسوله منهم، إذ كان أحبار اليهود يسألون رسول الله – صلى الله عليه وسلم –ويتعنتون، ويأتونه باللبس ليلبسوا الحق بالباطل وهم يعلمون أنه الحق من ربهم، ومن جملة الأمور التي اعترض عليها أحبار اليهود، لما جاء القرآن الكريم على خلاف هواهم، وضاقوا ذرعًا بما عاهدوا النبي عليه لما دعاهم إلى الإسلام جحدوا به وكفروا وقد كانوا يستفتحون على الناس بالنبي – صلى الله عليه وسلم –قبل مبعثه فلما بعث من العرب أخذتهم الحمية وجحدوا به [37].

وقد عراهم القرآن الكريم في أكثر من موضع، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفُۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [البقرة: 88-89].

وقال تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [البقرة: 100-101].

وقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾ [البقرة: 109].

ولما صرف الله سبحانه وتعالى قبلة المسلمين إلى البيت الحرام بمكة، جاء اليهود إلى النبي – صلى الله عليه وسلم –وقالوا له: "يا محمد ما ولاك عن قبلتك التي كنت عليها وأنت تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه؟ "[38]، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ

بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾﴾ [البقرة: 142-150].

ولما دعاهم – صلى الله عليه وسلم –إلى التوراة أبوا عليه، فأنزل الله فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [آل عمران23-24].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [البقرة: 170 -171].

فلما يئسوا منه – صلى الله عليه وسلم –قالوا: "نعبدك كما تعبد النصارى عيسى"[39] فأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عمران: 79-80].

وقولهم عن النبي – صلى الله عليه وسلم –بأنه ساحر، وقولهم عن القرآن الكريم بأنه قول شاعر وقولهم بأنه تعلمه عن طريق الراهب بحيرى، وقد رد القرآن الكريم على هذه الافتراءات، بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [النحل: 103-105].

2- التفسيرات اليهودية لبعض قصص القرآن الكريم:

يـذهب الكثيـرون إلـى أن الإسـرائيليات هـي المسئولة عن رسم صورة الإسلام والنبي – صلى الله عليه وسلم –في الفكر الغربي القديم، فهل هي كذلك؟

الإسـرائيليات: هـي مجموعـة التفاسـير التـي وضـعها اليهـود مـن أوائـل المفسـرين الـذين أسـلموا مـن تفاسـير لـبعض قصـص القـرآن الكـريم التـي تعلقت بـالأمم السـابقة وملكهـم ودولهـم، وقـد وردت بعض الأسماء التي تنسب لها هذه التفاسير، مثل كعـب الأحبـار[40]، ووهـب بـن منبـه[41]، مـن المتقدمين وموسى بن ميمون من المتأخرين وقد جمعها ابن جريج[42] .وهي مرويات تتعلق بأخبار الأمـم والملـوك وبـدء الخليقـة حيكـت علـى شـكل قصص ملحمية مأخوذة من قصص التوراة وأخبار بني إسرائيل، وتناولت الأخبار ولم تتناول الأحكام الشرعية[43]. وردت على سبيل السرد العادي لكل جوانـب القصـة التـي قـد لا تكتمـل إلا بـالموروث الإسرائيلي المتداخل مـع المـوروث السـامي بحكم الاشتراك في الأصول الأولى وبحكم اعتراف القرآن الكريم بأنبياء بني إسرائيل وأورد تاريخهم كجزء من إشـاراته إلـى الأمـم السـابقة علـى سـبيل العظـة والعبرة[44] .

وقد استنكر ابن خلدون هذه القصص التي اعتمـد عليهـا المؤرخـون الأوائـل وأخـذوا عنهـا واقتصرت على إحصاء الأعداد والأموال والجيوش فـي أيـام موسـى وسـليمان عليهمـا السـلام، وجيـوش الفـرس والتبابعـة الحميـريين وأخبـار ملـوكهم،على سبيل تأسيس منهج تاريخي جديد يقوم على دراسة الحدث التاريخي وتحليل دوافعه وأسبابه دون السرد المبالغ فيه، ودخوله حقل التاريخ العربي كمصدر تاريخي يمكن الرجوع إليه إنما يعود كما يرى ابن خلدون إلـى " أن العرب لم يكونوا أهل كتاب قبل الإسلام ولا علم، وإنما غلبت عليهم البداوة والأمية ..وإذا ما تشوقوا إلى معرفة أسباب المكونات وبدء الخليقـة وأسـرار الوجـود إنمـا يسـألون أهـل الكتـاب قبلهم ويستفيدون منهم من أهل التوراة من اليهود ومن تبعهم من النصارى الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم لا تعرف من ذلك إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب ومعظمهم من حمير الذين أسلموا فلما أسلموا بقوا على ما كان عندهم مما لا تعلق له بالأحكام الشرعية التي يحتاجون لها مثل أخبار بدء الخليقة والأحداث والملاحم وأمثال ذلك مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه.. "[45].

ومن هنا يتضح أن الإسرائيليات من ناحية هي أخبار خرافية أسطورية مبالغ فيها حاولت أن تمجد التاريخ ما قبل الإسلامي، وليست كلها من إنتاج وهب بن منبه وكعب الأحبار، فالتاريخ القديم يحتوي على أخبار كثيرة كاذبة، إذ نظموا ما هو أخبار إلى ما هو قصص، وما هو تسجيل لوقائع تاريخية إلى ما هو موروث شعبي من مقتضيات الأساطير القديمة، وما وهب بن منبه إلا ناقل للحكايات الشعبية العربية القديمة التي من سمتها الأسطورية التي تبالغ وتمجد ولا تحط من قدر الآخرين، خصوصا إذا كان الذي نتحدث عنه هو نبي الله محمد – صلى الله عليه وسلم –والدين الإسلامي عامة، ووهب بن منبه قد أسلم فكيف له

أن يفتري بعد ذلك على الإسلام أو على نبيه – صلى الله عليه وسلم –، ولذا قد يستبعد أن تكون كتابات وهب بن منبه قد احتوت على ما يمكن أن نستشف منه تشويها للإسلام أو لنبيه – صلى الله عليه وسلم –، أو تكون هذه الكتابات مسئولة عن رسم صورة للنبي – صلى الله عليه وسلم –لدى الآخرين، للأسباب الآتية :

1– أن وهب بن منبه قد نقل التاريخ الشعبي اليمني وهو تاريخ يلتبس فيه الحقيقي بالخرافي التي يضفيها الضمير الشعبي لأحداث ملوكه وأبطاله، فهذه الكتابات تميل إلى الأدب الشعبي الفلكلوري الذي كان سمة مميزة لتلك العصور، أكثر من ميلها إلى التاريخ [46].

2– أن وهبًا قد عاش في القرن الأول الهجري وهي الفترة الزمنية للدولة الأموية، فلو ثبت أنه قد شوه صورة الإسلام أو نبيه – صلى الله عليه وسلم –ما ترك وشأنه، والقرن الأول لم تكن فيه الترجمة قد شهدت نشوؤها بين الشرق والغرب، وبين الإسلام والدولة الرومانية، فقد كان السجال خلال هذا القرن سجالًا حربيًا لم يتعد السيوف وأسنة الرماح إلى السجال الفكري والثقافي الذي تبدأ معه رسم الصورة المشوهة عن الإسلام والنبي صلى الله عليه وسلم.

3– إن الإساءات أيًا كان شكلها لا تصدر عن الدوائر العلمية التاريخية، وإنما تصدر عن الدوائر الاستخباراتية السياسية الاستعمارية، فهي من قبيل الأعمال التي تشمل بث الدعاية والإشاعات الإعلامية يستخدمها العدو للحط من قيمة الآخر والنيل منه.

ظلت هذه الإسرائيليات تتداول في الإطار الشعبي كردة فعل على مخالفة الإسلام للديانتين " اليهودية والنصرانية "[47] ولم تتحول إلى كتابات إلا في عصر التدوين، حين ازدهرت حركة النقل والترجمة بين الإسلام والدولة الرومانية النصرانية، في أواخر أيام الدولة العباسية حين دخل العنصر غير العربي ممثلًا بالبرامكة والفرس ففي العام 178هـ / 794م فوض هارون الرشيد أمور الخلافة إلى يحيى بن خالد بن برمك، ومن هذا التفويض إلى جانب سيطرتهم على أمور السياسة في بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية سيطروا على بيت الحكمة وهو دار للترجمة والفكر فأدخلوا كاتبهم سهل بن هارون الفارسي، ويوحنا ماسويه المسيحي (ت: 243هـ / 857م) الملقب يوحنا الدمشقي، وهو يهودي تنصر واعتنق المسيحية، وقد ترجم خلالها العديد من الكتب الفارسية واليونانية إلى العربية وأشهر ما ترجم الدول والملل الذي ألفه ما شاء الله اليهودي الفارسي المتوفي سنة (187هـ / 803م)، وعن اليونانية ترجم كتب أفلاطون الجمهورية والقانون والسياسة، وقد ذكر المسعودي أن هذا العصر تميز بشيوع " المانوية والمزدكية والمجوسية "[48] في الفكر السياسي للدولة العباسية[49].

فكانت تلك أول بوادر التلاقح الثقافي بين الإسلام والدولة الرومانية " فالروم لما أخذوا بدين النصرانية ترجموا التوراة وكتب أنبيائهم الإسرائيليين

إلى لغتهم ليقتنصوا منها الأحكام على أسهل الطرق"[50]. ولعلهم أثناء الترجمات قد عثروا على صورة المسيح عليه السلام كما صورها التلمود فكانت القاعدة الأولى لرسم صورة الإسلام والنبي – صلى الله عليه وسلم –كما سبقت الإشارة.

المبحث الثاني: مكونات وأنماط صورة النبي – صلى الله عليه وسلم –في الفكر الغربي

ويتضمن ثلاثة مطالب

المطلب الأول: النمط السياسي ألاستخباراتي

1– الوثائق السرية:

من أين استمد الغرب صورة الإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم؟ لعل هذا السؤال يكون فاتحتنا إلى استعراض صورة الإسلام ونبيه – صلى الله عليه وسلم –في الفكر الغربي عبر العصور منذ بداية أول اتصال بين الإسلام والإمبراطورية الرومانية بكتاب النبي – صلى الله عليه وسلم –إلى هرقل عظيم الروم وحتى الفلم المسيء إلى النبي – صلى الله عليه وسلم –[51].

يذهب صاموئيل هنتنجتون إلى القول " بدأت معرفة الغرب بالإسلام تستمد مادتها من رافدين، أما أحدهما فرافد ضحل يمد أوروبا بالأكاذيب التي يذكي نارها دعاة الصليبية ويمثلها الأدب الشعبي، وأما الآخر فتمده الجامعات بمادة تعتمد على مصادر أمينة تعرف الإسلام في عقائده ومعاملاته وتعرف المسلمين وعاداتهم في مختلف بقاع الأرض وقد سار هذان الرافدان في بلاد الغرب جنبًا إلى جنب على مختلف العصور وبطبيعة الحال كان لكل منهما مجال خاص بين الشعوب الأوروبية فبين الطبقات الدنيا تشيع الأكاذيب والمبالغات عن الإسلام والمسلمين، وبين الطبقات المثقفة تجد الحقيقة والمعرفة الدقيقة مجالها الخصب"[52] .

يتمثل هذا النمط في وثيقتين أو تقريرين يعدان أول ما ألفه الغرب ضد الإسلام، ومن الصعوبة تحديد أيهما كان أسبق لقلة المصادر والدراسات التي تناولت هذا الموضوع، أحدهما سياسية صادرة عن قائد روماني والأخرى دينية صادرة عن رجل دين يهودي فارسي اعتنق المسيحية.

يميز عبد الباسط عبد المحسن بين نمطين من الكتابات التي تناولت الإساءات إلى الإسلام والنبي – صلى الله عليه وسلم –، تلك التي ظهرت في القسم الشرقي للدولة الرومانية البيزنطية الأوروبية المسيحية، وتلك التي ظهرت في القسم الغربي، وهو تمييز مبني على اللغتين اليونانية لغة الكنيسة الشرقية البيزنطية، والكنيسة الغربية ذات اللغة اللاتينية، وهذا التمييز ليس سوى تمييز لغوي لا يضفي أي تغيير في محتوى الكتابات التي تناولت الإسلام ونبيه – صلى الله عليه وسلم –، اللهم إلاّ في البداية التاريخية لظهور تلك الكتابات في القسم الشرقي للدولة الرومانية البيزنطية، بحكم القرب الجغرافي، أما مضمون هذه الكتابات فهو واحد يرجع إلى القرن الثامن الميلادي الذي شهد حدة المواجهات بين الدولة العباسية والدولة

الرومانية على التخوم الشرقية للإمبراطورية الرومانية، وتسارع الفتوحات الإسلامية من جهة، ومن جهة أخرى، نمو حركة النقل والترجمة وتسارع وتيرتها بين الطرفين، ولو شئنا التحديد الدقيق لقلنا عقب فتح عمورية في أيام الخليفة العباسي المعتصم بالله حين استنجدت إحدى نساء المسلمين بالخليفة قائلة " وآ معتصماه " لما لحق بها أذى أحد جنود الرومان، إذ جهز المعتصم جيشًا لفتح عمورية، ودارت المعركة وكتب النصر للمسلمين وأسر القائد الروماني " ايفوديوس العموري"[53].

كتب ايفوديوس في سجنه وثيقة تشبه التقرير السري إلى القيصر ليون الثالث تحت عنوان " martyruum der martyr von amoria " أراد من خلالها أن يبرر لقادته سبب هزيمته طمعًا في بذلهم المساعي لإخراجه من سجنه، وتحت وطأة السجن لم يجد سوى مخزونه الفكري اليهودي عن صورة المسيح عليه السلام في العهد القديم " التلمود "، والتي من المؤكد أنها كانت ذائعة ومتداولة بين النصارى آنذاك حيث قال فيها إنَّ النبي –صلى الله عليه وسلم– " لم يرسل من الله، ولم يدع إلى التوحيد، وإنما دعا إلى عبادة الأوثان، وقاد العرب إلى عبادة الشيطان، وساعد على نجاحه أن العرب شعب غير متحضر غارق في البداوة والجهالة، وأنه جاهل وقح وكاذب وأنه نبي مزيف ومضلل وابن الشيطان، ومبدد الحكمة الإلهية والإنسانية، وأنه لم يعتمد على العقل في إثبات مشروعية نبوته بل اعتمد على العنف والقوة "[54].

شكلت هذه الوثيقة أول مدونةً سياسية ضد الإسلام ونبيه – صلى الله عليه وسلم –انتقلت من بغداد إلى بيزنطة، فوجدت فيها الكنيسة تربة خصبة للترويج لهذه الصورة المشوهة للنبي – صلى الله عليه وسلم –وتعزيزها بين أوساط أتباعها ومواطنيها، وتمثل ذلك في الإجراءات الآتية:

1– جمع ليون الثالث رجال الكنيسة وحثهم على دراسة هذا التقرير وتحويل هذه الوثيقة إلى كتابات ضد الإسلام ونبيه – صلى الله عليه وسلم –لتوعية رعايا الدولة البيزنطية وطمأنتهم على أوضاعهم الدينية والسياسية من جهة، ووضع حاجز نفسي بين المسيحيين والمسلمين يقطع الطريق أمام المسيحيين فلا يدخلون الإسلام إذا ما وصل بلدانهم.

2– تقديم الدعم المؤسساتي لرجال الكنيسة لدراسة الإسلام وترجمة القرآن الكريم للاستفادة مما جاء فيه من آيات تتناول اليهود والنصارى وتوظيفها في الهجوم على الإسلام ورموزه الدينية المقدسة.

3– مثلت هذه الوثيقة حالة استثنائية من الانتقال من السجال الحربي إلى السجال الثقافي والفكري السلبي.

وسرعان ما تحولت هذه الإجراءات إلى واقع عملي مع القس نيكيتاس البيزنطي بتكليفٍ من قبل القيصر ميخائيل الثالث (842–867م) لدراسة وثيقة مماثلة كتبها "يوحنا ماسويه المسيحي"[55] ردًا

على رسالة وجهها إليه عبد الله بن إسماعيل الهاشمي يدعوه فيها إلى الإسلام، ويبين له مثالب عقيدة التثليث المسيحي، فرد يوحنا بوثيقة يصف بها الإسلام ونبيه – صلى الله عليه وسلم –قائلا " رجل نشأ يتيمًا فقيرًا وثنيًا يعبد الأصنام، فلما قوته زوجته بمالها نازعته نفسه إلى شرف الملك والرياسة في عشيرته وأهل بلده فادعى النبوة والرسالة بين قوم بدو لم يفهموا شروط الرسالة ولا علاماتها لعدم بعث نبي فيهم من قبل ..وقد استماله نصراني نسطوري اسمه سرجيوس – في إشارة إلى بحيرى الراهب – مطرود من الكنيسة ويريد التقرب إليها فتلطف إلى محمد وأكثر من تعليمه حتى أبعده عن عبادة الأوثان وصيره داعيا للمذهب النسطوري فلما توفي سرجيوس قام مقامه عبد الله بن سلام وكعب الأحبار اليهوديان اللذان ادخلا في كتابه بعد وفاته أخبار التوراة وبعض أحكامها إلى جانب تعاليم النصرانية الغالبة على الكتاب، وبخلاف ذلك لم يستطيع محمد أن يظهر شيئًا من علامات النبوة أو شروطها قبل الإعلام بالجديد الذي لم يسبقه إليه أحد من الأنبياء أو الأمور المستقبلية التي تقع كما أخبر أو وقوع الأخبار والخوارق على يديه فلم ينطق كتابه بشيء من ذلك، لهذا يكون ما نسب إليه من معجزات مثل : بكاء الذئب بين يديه، وتكليم الشاة له، وفيضان الماء بين أصابعه يكون نوعًا من الأباطيل والأكاذيب وليست من علامات النبوة، لأن النبوة قد أخبر عنها المسيح في الإنجيل بختامها ونهايتها "[56] .

2- المدونات التأليفية:

شكلت هاتان الوثيقتان مضمون أول كتاب مسطور يتناول الإسلام ونبيه – صلى الله عليه وسلم –في أوروبا المسيحية،ألفه نيكيتاس البيزنطي تحت عنوان (تفنيد كتاب العربي محمد widerlegung des von araber mohammed geschriebenen buches, (bg 105, 66j, a–a.od) وقد قسمه إلى قسمين الأول يتناول الديانة المسيحية والدفاع عنها، والثاني يتناول الهجوم على الإسلام والنبي – صلى الله عليه وسلم –تنفيذا لتوجهات القياصرة ورجال الكنيسة لتكوين رؤية فكرية ضد الإسلام وبعدها توالت الكتابات التي تبنتها الكنيستان الشرقية والغربية على حدٍ سواء.

وقد تصاعدت هذه الكتابات المسيئة للإسلام والنبي – صلى الله عليه وسلم –كلما ازدادت حركة الفتوحات الإسلامية في أوروبا شرقًا وغربًا، فبعد فتح الأندلس شعرت الكنيسة بضرورة وجود مقاومة للإسلام لوقف تقدمه في أوربا مدعومة بايدولوجيا معادية للإسلام تقوم على نشر المزيد من الكتابات التي تشوه الإسلام وتقدمه لمواطنيها على أنه دين العنف والقوة والاستبداد .ولتحقيق هذا المسعى عكف القسيسان هوجو اليوتس القرطبي(ت: 859م) وبطرس الفاو نسي(ت: 869م) على تأليف كتابهما المشترك " الإشارات النورانية " وهو كتاب معادي للإسلام ونبيه – صلى الله عليه وسلم –يعيد ما سبق طرحه من أفكار في الوثائق السابقة فقد جاء فيه أن " ظهور الإسلام مقدمة

لظهور المسيح الدجال، وأن محمدًا – صلى الله عليه وسلم –نبي مزيف، ومؤسس لهرطقة مسيحية أيام الإمبراطور هرقل، وأنه قد اتصل بأحد المسيحيين أثناء عمله لدى زوجته الثرية خديجة، وقد أوهمه ذلك المسيحي أنه ملهم من الله بواسطة الملك جبريل عليه السلام لا بدعوة ترفض الصور وتبشر بإله غير مصور وتدعو إلى القتال بالسلاح والعنف ضد المخالفين "[57]. وسرعان ما تحولت هذه الكتابات إلى حركة مقاومة ضد المد الإسلامي في الأندلس تجاوزت الكتابات غير المنطقية كالشتم والسب العلني للرسول – صلى الله عليه وسلم –في الشارع كما حصل مع الراهب بيرمكتيوس عام 805م حين أطلق وابلًا من الشتم والسب العلني للرسول – صلى الله عليه وسلم – واصفًا إياه بالمسيح الدجال نفسه، فلما حكم عليه بالإعدام لسبه النبي – صلى الله عليه وسلم – تحول إعدامه إلى حركة سياسية منظمة سميت حركة الشهداء"[58].

ومن هنا نخلص إلى أن هذه الكتابات عبرت عن الروح العدائية للإمبراطورية الرومانية التي غلبت على الديانة المسيحية وأفرغتها من مضامينها الإلهية والإنسانية الداعية إلى التسامح والمحبة والسلام، وحولت الصراع بين المسيحية والإسلام إلى صراع عقائدي وهو في الأصل صراع سياسي على مراكز النفوذ السياسي والاقتصادي، وبهذا تكون المؤسسة الدينية والسياسية هي التي وقفت وراء هذه الكتابات المشوهة عن الإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم.

وبالنظر إلى هذه الكتابات نجدها تتناقض مع النصوص القرآنية والوقائع التاريخية، وتعكس عقم وقصور الرؤى الفكرية للمؤسسات التي تقف وراءها، فقد زعمت أن الرسول – صلى الله عليه وسلم –لم يرسل من الله وكأنهم هم أوصياء الله على خلقه يقررون من هو النبي المرسل من الله ومن الذي لم يرسل من الله، ونسوا أن النبوة اصطفاء إلهي، وليست كسبًا بشريًا يمكن تعلمها كباقي العلوم كما يزعمون من تعليم الراهب بحيرى – وإن اختلفت تسمياتهم بين سرجيوس وجوليوس – للنبي – صلى الله عليه وسلم –الدين المسيحي، وليس أدل من بطلان دعواهم قوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [النحل:102-105].

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: 64].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ۝٤ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۝٥ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ۝٦﴾ [الفرقان: 4-6].

ومن ناحية أخرى تتناقض مع الوقائع التاريخية فعبد الله بن سلام الذي ينسبون إليه تعليم النبي – صلى الله عليه وسلم –كان يهوديا يعرف اليهود أشد من معرفة النصارى بدينهم، فقد أسلم وجاء إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم –لما عرف من نفاق اليهود وقال " يا رسول الله إن قومي قوم بهتٍ ونفاق فاخفني عندك ثم ادعهم وانظر ما يقولون، فلما جاؤا رسول الله قال لهم ما تقولون في عبد الله ابن سلام قالوا حبرنا وابن حبرنا وكبيرنا، فقال لهم رسول الله إن هذا ابن سلام قد أسلم واتبعني فما تقولون فيه ؟ قالوا : إنما هو منافقٌ وكذاب "(59).

أما كعب الأحبار فإنه لم يدرك الرسول – صلى الله عليه وسلم –وإنما عاش في أيام الدولة الأموية، فكيف يكون قد علم رسول الله – صلى الله عليه وسلم –ولم يدركه؟ وهذا دليلٌ آخر على عقم تلك الكتابات وعدم علميتها ومنطقيتها وارتهانها إلى الرؤية العدائية للدولة الرومانية والكنيسة المسيحية في العصور الوسطى ضد الإسلام بصفة عامة والنبي – صلى الله عليه وسلم –بصفة خاصة والتي سادت أوروبا خلال القرنين السابع والثامن الميلاديين إلى جانب عدم علمية المصادر التي استقى منها الغرب هذه الصورة للإسلام وهي الصورة التي شكلت الأنماط اللاحقة كما سيتبين.

المطلب الثاني: النمط الفلكلوري الشعبي

1- التأليف الشعري الملحمي:

بالرغم من أن الكتابات السابقة قد تحولت إلى حركة مقاومة ضد المد الإسلامي في أوروبا إلا أن هذه الحركة لم تدم طويلًا، بفعل عدالة الإسلام في التعامل مع سكان البلدان المفتوحة، وكون هذه الكتابات ذات النمط الاستخباراتي السياسي ظلت حبيسة النخب الدينية والسياسية وعجزت عن أن تكوّن لدى المواطن الأوروبي المسيحي آنذاك موقفًا معاديًا للإسلام، مما جعل الكنيسة تبحث عن أسلوب جديد يطور الكتابات السابقة ضد الإسلام ونبيه – صلى الله عليه وسلم –ويكون في متناول رجل الشارع والعامة من الناس في أوروبا، بغية تكوين رأيا عاما يساعدها على المضي في الحرب على الإسلام "الحروب الصليبية في العصور الوسطى"، وقد تحقق لها ذلك من خلال ابتكار النمط الشعري الملحمي والفلكلوري الشعبي الذي يعكس الكتابات السابقة بحلة جديدة تمكنها من الوصول إلى الجميع، وذلك من خلال الكتب والمؤلفات الشعرية الملحمية التي أطل بها القرن التاسع والعاشر الميلاديان .

حيث ألف أمبريشوا الماينزي أسقف كنيسة أوجتسبورج الألمانية سفرًا شعريًا طويلًا تحت عنوان "vita mahumeti أي حياة محمد " [60]يؤرخ فيه لحياة الرسول – صلى الله عليه وسلم –حيث يقول " بدأ محمد من القدس حين كان يحكمها تيودوس أخو القيصر هرقل إمبراطور بيزنطة، ففي عهده توفي أسقف المدينة فأراد أحد السحرة أن يكون بدل الأسقف فنفاه الحاكم الروماني إلى ليبيا وفي ليبيا وجد الساحر محمدًا فعزم الساحر على تعيين محمد مستشارًا لدى حاكم ليبيا الذي ابتلاه الساحر بمجموعة من الأمراض فمات، وأمر الساحر زوجة المستشار أن تتزوج محمدًا ليصبح ملكًا لليبيا . فاختار عجلًا وأخفاه في مغارة حتى كبر وأصبح ثورًا، ولما مات الملك اختلف الليبيون في من يخلفه فأشار عليهم الساحر أن يأتوا بالثور فمن استطاع أن يمتطيه يصبح ملكا، فأراد أحد الطامحين في السلطة أن يمتطيه فقذف به وقتله، وامتطاه محمدًا فهدى الثور ولعق يده وظهرت على جبينه العبارة الدالة على أنه مرسل إلهي فاقتنع الليبيون أنه مرسل إلهي وأعطوه الحكم، وعندما تولى الحكم طالبه الساحر باستحقاقاته وهي استبعاد الإنجيل وإلقائه واستعمال القوة ضد المخالفين، وإطلاق العنان للشهوات الجسدية والجنسية، وكان محمدٌ يتطلع إلى الألوهية وهو مصابا بالصرع فألقى به ذلك الصرع في خنزير فافترسه وأصبح قبره معلقًا بقوةٍ مغناطيسه، وبهذا امتنع المسلمون عن أكل لحم الخنزير "[61] .

ثم تبعه بطرس الفونسي[62]، الذي كتب ملحمة نثرية مكونة من ستة فصول جعل الفصل الخامس فيها مكرسًا للهجوم على النبي – صلى الله عليه وسلم –كسابقيه حيث يقول " نشأ يتيمًا في ظروف اقتصادية صعبة، فتمنى أن يسوس العرب فجعل طريقه إلى ذلك ادعاء النبوة، فوضع نفسه مع مهرطق نصراني على مذهب اليعقوبية كان يعمل شماسًا في كنيسة أنطاكية، فقام هذا الشماس بمساعدة اثنين من المهرطقين بتعليم محمد أصول دعوته الجديدة، وبسرعة قام محمد بنشر هرطقته بين العرب بالسلاح ..وفرض على أصحابه وأتباعه بعض العبادات كالصلاة والصيام والامتناع عن الخمور ولحم الخنزير، لهدف اقتصادي هو توفير الأطعمة والشراب أثناء الصيام والصلاة. كما فرض عليهم تقديس الحجر الأسود متابعة لعبادة الأوثان، وقبل وفاته أخبرهم بأنه سيعدم بعد ثلاثة أيام لكن لم يتحقق ذلك وبذلك يختلف محمد عن المسيح الذي قام بعد ثلاثة أيام من بين الأموات"[63] .

ومع بداية الحروب الصليبية على العالم الإسلامي كتب فالتير الكامينجي ملحمة شعرية مكونة من ألفي بيت من الشعر تكلم فيها عن النبي – صلى الله عليه وسلم –حيث يقول فيها " يعيش محمد في ارم ويعمل خادمًا لدى أحد أعيان المدينة فلما توفي سيده تزوج أرملة سيده، وفي ليلة الزواج انتابه صرع فأخبر زوجته أنه الوحي الذي يأتيه عن طريق الملك جبريل"[64].

2- القياصرة يتصدون للتأليف:

ولما وجد القياصرة أن كتابات القساوسة والرهبان لم تجد نفعًا ذهبوا إلى التأليف المباشر للكتب التي تنال من الإسلام ونبيه – صلى الله عليه وسلم –فقد قام القيصر نيكيتاس كونياتس الملقب ألتيوس الأول بإخراج كتاب جديد يجمع ما سبقه من كتب ومؤلفات تحت عنوان " نفائس الاعتقاد الارثوذكسي" وفي الفصل العشرين تحدث عن الإسلام تحت عنوان "ديانة أبناء هاجر" وصف بها دين المسلمين بأنه دين السرازنة "[65] ُيكفر كما يقول بكل ما جاء به محمد – صلى الله عليه وسلم –[66].ُاتبعهم القيصر كنتازيوس بمؤلف ضخم من خمسه أقسام جعل القسم الرابع منه للهجوم على النبي – صلى الله عليه وسلم –حيث يقول فيه " أرفض استدلال المسلمين على نبوة محمد من الكتاب المقدس وأرفض قول المسلمين إن الإنجيل محرف، وأن ديانة محمد قد انتشرت بالسيف والعنف وكل ما جاء به محمد شيء خطير وغير إنساني، وغير حكيم ولم يكن سوى قاتل كاذب منافق كتب كتابه بمساعدة اليهود"[67]. وقد غدا التأليف لدى القياصرة في القرنين الحادي عشر والثاني عشر وكأنه تقليد يجب العمل به، فقد ألف القيصر مانويل بالاجيوس (1307 – 1391م) وهو حفيد القيصر كنتا كوزيوس، حوارية طويلة مكونة من ستة وعشرين فصلًا كلها تعيد ما كتبه جده من شتم وسب للإسلام ونبيه – صلى الله عليه وسلم –[68]. وهما المؤلفان اللذان أستشهد بهما بابا الفاتيكان بندكيت السادس عشر أثناء خطابه في جامعة لاتيسيون الألمانية في 2006/9/12م في الربط بين الإسلام والعنف قائلًا: وإن محمدًا لم يأت سوى بأشياء سيئة ولا إنسانية مثل حق نشر الإيمان الذي بشر به بواسطة السيف "[69].

يتبين من هذه النصوص أنها قد عبرت عن رؤية قاصرة للإسلام ونبيه – صلى الله عليه وسلم –من قبل القياصرة والكنيسة المسيحية بشقيها البيزنطي واللاتيني، تقوم على الخرافة والأسطورة والمشحونة بالعداء والكراهية للإسلام، التي سيطرت على الفكر الغربي فكر اللاهوت المسيحي في العصور الوسطى الأوربية المسيحية، فتحول معها إلى فكرٍ سياسي صرف يعمل باتجاه تحويل هذه الصور المعبر عنها للإسلام والنبي – صلى الله عليه وسلم –، بمختلف عناصرها الاستخباراتية والملحمية الشعرية والفلكلورية الشعبية إلى رأي عام يرفض الإسلام جملة وتفصيلًا، دينًا ورسالة وقيما وأخلاقًا، ويشحذ الهمم الأوروبية باتجاه مقاومة الإسلام، بل والعدوان عليه من خلال تجهيز الجيوش وتقديم الدعم الشعبي لحروبها الطويلة ضد الإسلام تلك المسماة الحروب الصليبية الاستعمارية.

وزد على ذلك أن هذه الرؤى التي تعكس ضحالة الفكر اللاهوتي المسيحي وتناقضه مع نفسه وافتقاره إلى البحث عن المعطيات التاريخية الصادقة، فلو فندنا كل دعوى في تلك المدونات لوجدناها تبتعد عن الحقيقة بعد السماء عن الأرض وتستمد مصادرها من معين واحد هو

الأساطير والخرافات التوراتية والتلمودية التي ملأت الفكر اللاهوتي المسيحي، من ناحية، ومهدت الطريق لكتابات أخرى في العصور اللاحقة، من جهةٍ أخرى، إذ سيطر هذان النمطان على الفكر الأوروبي على مدى ستة قرون.

إن هذه الأنماط من الصور المرسومة للإسلام في الفكر الغربي المسيحي آنذاك هي تعبير عن أزمات داخلية كانت تعيشها الكنيسة على صعيد الداخل الأوروبي تمثلت في التحدي الإسلامي الذي قوض أراضي الدولة الرومانية، والتناقضات السياسية بين الكنيسة والقوى الإقطاعية الناشئة، وبدء ظهور الطبقة البرجوازية الوطنية الجديدة وتحولها إلى رأسمالية عالمية، ومنافستها للكنيسة على مصادر النفوذ الديني الروحي والسياسي والضغط عليها لتقديم بعض التنازلات عن صلاحياتها وامتيازاتها لصالح سد احتياجات الطبقة الناشئة داخليًا وخارجيًا، فكانت هذه الصور المقيتة عن الإسلام بالنسبة للكنيسة هي المتنفس الذي يخرجها من أزمتها الداخلية ويبرر لها خوفها على مصالحها جراء التوسع الإسلامي في أوروبا.

المطلب الثالث: النمط الاستشراقي الفلسفي

1- التجميع الموسوعي الفلسفي:

ويبرز هذا النمط في مدونات عصر النهضة الأوروبية وهو ما يمكن أن نطلق عليها مرحلة التجميع الفلسفي الذي أعاد صياغة الكتابات السالفة بصيغة جديدة تحافظ على مضمون وجوهر الصور السابقة وتضيف إليها أبعادًا عقلية جديدة تتجاوز الأنماط السياسية والاستخباراتية والشعرية الملحمية الفلكلورية إلى نمط البحث الفلسفي الاستشراقي الذي تبنته الكنيسة البروتستانتية وشجعت رجالها وغيرهم على السفر إلى الشرق والاستفادة من تراث الأمم الشرقية المسلمة وغير المسلمة، تمهيدًا لإعادة رسم صورة الكنيسة بحلة جديدة ليتسنى لها لعب دور أكثر حيوية في رسم خطوط العلاقة الغربية مع الإسلام خارجيا، والاستمرار في رسم صورته المشوهة لشعوبها داخليًا.

ومع بداية عصر النهضة الأوروبية بدأ الفكر الغربي يخرج من دائرة المثال الإسلامي كمكون مصدري للفكر الغربي إلى دائرة الدخول في البحث عن الذات بالخروج من المثال الديني المسيحي إلى المثال الإغريقي والروماني ونحو اليونان وأرسطو للبحث عن أصول للإعجاب والتقليد بدلًا عن الأصول اليونانية، ومعها بدأت فكرة نقد الشرق الإسلامي والدين الإسلامي، حيث بدأ ذلك مع سقوط القسطنطينية بيد المسلمين على يد محمد الفاتح سنة 1453م وبروز دور الخلافة العثمانية، وقد بدأت بوادر هذا النقد بالتأسيس النظري على يد ميشال بورديه (1589- 1645م) والذي نشر كتابًا تحت عنوان " دين الأتراك وميلاد وموت رسولهم محمد والخلفاء الذين اتبعوه " وقد كرس هذا الكتاب وجهات النظر السابقة حول الإسلام ونبيه صلى الله علي وسلم .

مع اعتقاد الكثيرين بأن عصر النهضة قد حد من سيطرة الكنيسة على الجوانب العقائدية

والفكرية في أوروبا إلا أن ذلك كان على صعيد السياسة والحكم، أما الفكر والثقافة فقد ظل أثر الكنيسة واضحًا خصوصًا ما يتعلق بالإسلام، فقد ظهرت إبان القرنين الثالث عشر والرابع عشر عدد من الكتابات المعادية للإسلام ونبيه صلى الله عليه.

في هذه المرحلة جرى تجميع كل الكتابات التي كتبت عن الإسلام والنبي – صلى الله عليه وسلم –باللغتين اليونانية واللاتينية، لكي تكون قاعدة فكرية ينطلق منها فكر عصر النهضة، وقد تبنت الكنيسة هذه الفكرة وأوكلتها إلى القس ج.ب. ميجيني حيث أخرج 161 مجلدًا من التراث اليوناني بعنوان المخطوطات اليونانية

"pg: patrologia greca, hrsg. von: j.p.migne 161 bed.paris 1857–1866."

و217 مخطوطًا لاتينيًا على مدى اثني عشر عامًا تحت عنوان

"pl:patrologia Latina, hrsg. von: j.p.migne.217 bde. paris 1878–1890."

وقد شكلت هذه المخطوطات بعد ذلك المعين الذي نهل منه فكر عصر النهضة

مؤلف " الأمة المحمدية natita de mochometo" لوليم الطرابلسي الذي يخلص فيه إلى أن النبي – صلى الله عليه وسلم –" زعيم شعبي وليس نبيًا ومعزولًا عن حياة الأنبياء "[70] وكتاب ريمونيوس مارتي (1220 – 1284م) وهو راهب دوميكاني أسباني سافر إلى طرابلس وتونس ووضع كتابه " شريعة محمد أو دين محمد " كال فيه السب والشتم للنبي –صلى الله عليه وسلم– وذهب فيه إلى أن الشريعة الإسلامية مخالفة للفطرة الإلهية ومخالفة للشريعة اليهودية والنصرانية "[71] .

تطلعت الكنيسة إلى إيجاد مبرر نظري تخوض بواسطته الحرب على العالم الإسلامي فكانت نظرية الحرب المقدسة التي اخترعها توما الاكويني ممزوجة بإبراز الصورة المشوهة للإسلام ونبيه – صلى الله عليه وسلم –، والمؤلف الثالث كان لفيلسوف المسيحية القديس توما الأكويني (1226 – 1274 م) تحت عنوان " الفرية المحمدية " يصف خلاله الإسلام بأنه " دين زائف وهرطقة، وأصحابه متوحشون وليس لديهم معرفة الأمور الإلهية، ساعدتهم الكثرة العددية على فرض الإسلام بالقوة والعنف، وإغراء كثير من الشعوب للدخول في عقيدة الإسلام لتشجيعه إياهم على الملذات الحسية، وأمر أتباعه بعدم الاطلاع على الكتاب المقدس حتى يستيقنوا زيف دعوى محمد وضعف أحكام ديانته "[72].

والرابعة للمنصر ديكيوس دي مونت كروسير وهو راهب ومنظر عاش ببغداد زمنًا طويلًا تعلم خلالها العربية ودرس علوم الإسلام وانتقل إلى فلسطين وأقام في عكا حتى سقطت بيد المسلمين سنة 1207م، وفيها ألف كتابه " عقيدة السرازنة " الذي يصف فيه النبي – صلى الله عليه وسلم – بأنه لم يأتي بمعجزة قرآنية وتعلم على يد راهب مسيحي ساعده على صياغة القرآن الكريم [73] .

وفي كتاب الأسطورة الذهنية ليعقوب الفراجيني (ت/1298م) يذهب إلى أن النبي – صلى الله عليه وسلم –تلقى الوحي عن طريق حمامة وأن القرآن الكريم هجين من اليهودية والمسيحية(74).

سيطرت فكرت كون الإسلام كما يرى مفكرو القرنين الثالث عشر والرابع عشر وهما القرنان اللذان مهدا لعصر النهضة أو عصر التنوير الأوروبي، فما كاد يبدأ هذا العصر حتى شاعت هذه الفكرة في مؤلفات كل من " فلهلم رودولف " في كتابه "صلة الإسلام باليهودية والمسيحية " الذي يذهب فيه إلى أن القرآن مستمد من المسيحية واليهودية. وقد تميز فكر هذين القرنين بأنه فكر مرحلة التجميع، عكف فيه الفكر الغربي على تجميع ما أنتجته أقلام الكنيسة في القرون السابقة وعملت على محاولة وضع المعاجم، كان أهمها صدور معجم المكتبة الشرقية " bibliotheca oriental " الذي صدر في فرنسا سنة1697م والذي يعرف الإسلام نبيه – صلى الله عليه وسلم –بأنه أفاق ومؤسس الهرطقة المسماة دينا باسم المحمدية ذلك النبي الذي وصفه أتباعه بكل أوصاف المسيح باستثناء الألوهية شأنهم في ذلك شأن الهرطقة (75).

النتائج الختامية للبحث:

1– إن الإساءات الغربية الصادرة ضد الإسلام ونبيه – صلى الله عليه وسلم –سواء كانت بالكلمة أو بالرسم أو الصورة، وسواء كانت قديمة أم حديثة كانت نتاج الدوائر السياسية والدينية المتحالفة معها، فلم تكن عبر تاريخ العلاقة بين الإسلام والغرب إلاّ رغبة من الغرب في تمرير مخطط ضد العالم الإسلامي يبدأ التمهيد له بالإساءة إلى الإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم، أو ردة فعل غربية ضد تحدي فرضه الإسلام على الغرب.

2–رسمت المؤسسات صورة الإسلام لأول وهلة مشوهًا ومساءًا إليه، هي ذاتها المؤسسات التي تسيء إلى الإسلام ونبيه – صلى الله عليه وسلم –اليوم، وإن اختلفت المسميات فإن هذه المؤسسات حاضرة اليوم كما كانت حاضرة ضد الإسلام بالأمس.

3– عبرت كل الإساءات الغربية للإسلام ونبيه – صلى الله عليه وسلم –عن عقم الفكر الغربي وبؤس مصادره وجهله بالإسلام قيما وأرضًا وإنسانا،وعزلة معرفية وغربة داخلية لرجال الفكر الغربي القديم والحديث، واعتمادهم في تفسير الإسلام على مصادر غاية في الخرافية والأسطورية وليست كما يدعي هنتينجتون مصادر علمية أكاديمية بحثية متخصصة، بل عبرت عن جهالة تامة بالإسلام وبحياة النبي – صلى الله عليه وسلم –فالإسلام لا يدرس في الغرب إلاّ بواقع 3% في النظام التعليمي وهذه النسبة تنحصر في بيان مصادر النفط التي تغذي الغرب وليس دراسة الحضارة الإسلامية .

4– كشف هذا البحث عن خواء القيم الغربية وازدواجيتها وحقدها على الإسلام وفشلها في القضاء عليه أو تقليص نفوذه، فما يطرحه الغرب

عن الإسلام والنبي صلى الله عليه وسلم، والمسلمين بصفة عامة هو مخطط مدروس مسبقًا لتقويض الإسلام مع عصر التنوير بالاعتماد على المصادر الخرافية والأسطورية وعدم الرجوع إلى المؤلفات الحقيقية الصادقة التي ترجمها الغرب عن الإسلام أو تلك التي تظهر تفوق الإسلام واستفادة الغرب منه.

5- إن الإساءات لن تنتهي وستستمر ما استمر ارتهان الفكر الغربي، إلى دوائر صنع القرار السياسي في الغرب وطالما ظلت دوائر الفكر تتمحور حول فكرة الكمال الغربي والتفاخر بالمنجز المادي على حساب القيم الدينية والروحية، وطالما ظل الغرب يبحث عن ذاته من خلال العقل العلمي وحده، وظل العالم الإسلامي منطقة نفوذ سياسي واقتصادي لحركة المخططات الغربية السياسية، وحقل تجارب لأسلحته المتجددة.

6- غلبت على هذه الكتابات النظرة الذاتية المتعصبة للفكر الغربي التي تمجد الإنسان الغربي وتعتبره محور التقدم الإنساني وفي الوقت نفسه تنبئ باضمحلاله وموت عظمته حتى يظل الإنسان الغربي في حالة من التهيج والتأهب ضد الآخر.

7- أن الخطاب السياسي الغربي عامة هو خطاب مشحون بالعداء للإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم، يعيد إنتاج نظريات الإساءة إلى الإسلام في القرون الوسطى وعصر النهضة والعصر الحديث.

8- إن الفكر الغربي المعاصر يعتمد على الأسلوب الجدلي للفكر اللاهوتي في العصور الوسطى المعتمد على عنصر الرواية والمحاورة التي تثير اهتمام المواطن الغربي الذي يميل إلى المقايسة العقلية المنطقية من خلال ثنائية الربط بين الإسلام والفاشية والنازية والشيوعية والإرهاب والتطرف وهذان الأخيران ظاهرة عامة في جميع الملل والأديان وفي كل الأزمنة ثم إن المتطرفين من المسلمين هم صنيعة استخباراتية أمريكية وبعض الأنظمة العربية وليست صنيعة الدين الإسلامي الحنيف.

9- إن ازدواجية القرار السياسي الغربي تجاه قضايا العرب والمسلمين وأهمها قضية فلسطين والقضايا الأخرى هي ما ساهم ويساهم في إذكاء روح العداوة لدى الشارع العربي تجاه الغرب السياسي.

10- إن العلاقة بين الغرب والإسلام ليست علاقة عداء دائم وإن تهويل خطر الإسلام على الغرب هو عمل سياسي تكمن في أطماع اقتصادية وسياسية استعمارية تستهدف المسلمين أرضًا وإنسانًا، ولا تعطي الحق للغربيين للإساءة إلى الإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم، لأن ذلك يعد تعديًا على الخصوصيات الدينية المقدسة للأديان والشرائع السماوية والوضعية.

11- إن الخوف على التركيبة الديمغرافية الغربية من هجرة المسلمين هو خوف غير مبرر، فالمسلمون مهما بلغ عددهم في الغرب لن يغيروا المعادلة السياسية لصالحهم والغرب يعلم ذلك تمام

العلم، وإنما يستخدم ذلك ذريعةً لضرب العالم العربي والإسلامي واستهداف موارده الاقتصادية والبشرية وليس العراق وأفغانستان وليبيا عنا ببعيد.

12- إن صورة الإسلام ونبيه – صلى الله عليه وسلم –قد تكونت في الذاكرة الغربية وفق ثلاث مراحل هي تعبير عن تاريخ العلاقة بين الغرب والإسلام، كل مرحلة امتدت ما يقرب من خمسة قرون فالمرحلة الأولى مثلت تكوين هذه الصورة والثانية التأليف النظري الذي يمثله عصر النهضة والثالثة القرون التي تلت عصر النهضة وهي مرحلة إعادة إحياء الصورة المشوهة عن الإسلام والمسلمين عن طريق إعادة رسم الصورة المشوهة عن الإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم.

13- إن الذاكرة الغربية قد شحنت على مدى ثلاثة عشر قرنًا بالصور المشوهة عن الإسلام ونبيه – صلى الله عليه وسلم –وما زالت هذه الذاكرة تشحن حتى اللحظة، وإن معالجة ذلك يكمن في فتح نوافذ الاتصال الإيجابي مع الغرب على مختلف الصعد والوصول إلى الإنسان الغربي مثلما يصل الغرب إلى الإنسان المسلم وذلك بتسليط جهد إعلامي وفكري وثقافي إسلامي يعمل على إعادة رسم صورة الإسلام في الغرب، وهذا الجهد ينبغي أن يكون جهدًا مؤسسيًا، ذلك أن ما رسمه الفكر الغربي من صورة للإسلام لا يمكن مواجهته من خلال جهد فردي وإن كانت هذه الدراسة نقطة في بحر ذلك الجهد المستقبلي.

14- على خلاف ما ذهب إليه هنتجتون من أن الفكر الغربي قد استمد معرفته بالإسلام من مصادر أكاديمية حقيقية وموثقة نجده يغرق في الأسطورية والخرافية التي طغت على معظم أطروحاته النظرية تجاه الإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم، حتى تلك التي وضعها أكاديميون ورجال فكر.

التوصيات الختامية:

1- يوصي الباحث بعمل مبادرات للتواصل العلمي والبحثي بين الجامعات الإسلامية والجامعات الغربية للوقوف على تعزيز الحوار الأكاديمي الإيجابي بين الغرب والإسلام على قاعدة احترام العقائد والأديان.

2- تبني خطاب إعلامي إسلامي رسمي وشعبي تقوم به المؤسسات الإعلامية الإسلامية يقوم على الانتقال من ردود الفعل إلى تبني زمام المبادرة والإقناع للطرف الآخر في آن واحد، ويخاطب الغرب بلغتهم بنشر الإسلام ويعرفهم به.

3- تعزيز التواصل بين المراكز البحثية المستقلة في العالمين الغربي والإسلامي لوضع الدراسات العلمية الصادقة والعادلة والمنصفة عن الإسلام لمحو الصورة المشوهة عن الإسلام في الغرب.

4- على المسلمين في أوروبا وأمريكا تبني خطاب القدوة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، والمجاهدة بالنفس والمال، والاعتراف بتعدد الثقافات والحضارات والاعتقاد، المكفولة بالإسلام وفطرة الاختلاف في العادات والتقاليد بين المسلمين والغربيين كمدخل مهم للتعامل مع الأوربيين في أوروبا وأمريكا.

5- وضع المزيد من الدراسات العلمية والأكاديمية الإسلامية لدراسة العلاقة بين الإسلام والغرب عبر التاريخ لبيان المثالب والأخطاء التي وقع فيها الفكر الغربي تجاه الإسلام والنبي – صلى الله عليه وسلم –بالتركيز على مراحل التفاعل السلمي والوئام والتعارف الإيجابي التي تعبر عن الحالة الدائمة حالة السلام بينهما وليس حالات الصراع والتقاتل.

المراجع والهوامش:

(1) عبد الرحمن عزي، دراسات في نظرية الاتصال، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،2003م، ص19.

(2) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق شهاب الدين أبو عمرو، ط1، دار الفكر، بيروت، مادة فكر، ص588.

(3) ألفيروز أبادي: محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، دار صادر، بيروت ،1386هـ، مادة فكر، مج3،ص117.

(4) ابن منظور: لسان العرب، ط3،دار صادر، بيروت، 1994م، مادة فكر،373/6.

(5) الجرجاني: علي بن محمد، التعريفات، صححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت ،1983م، ص23.

(6) الفيومي المقرئ: أحمد بن محمد بن علي، المصباح المنير، تحقيق يوسف الشيخ محمد، ط2، المكتبة العصرية، صيدا، 1996م، ص234.

(7) المصدر نفسه، ص235.

(8) الغزالي: إحياء علوم الدين، دار الندوة الجديدة، بيروت،425/4.

(9) المعجم الفلسفي في دار الكتاب اللبناني، بيروت،1982م،154/2-156.

(10) علي عبد المعطي وآخرون، تطور الفكر الغربي، مكتبة الفلاح، ط1،الكويت ،1407هـ، ص23.

(11) تتألف المصادر العقائدية اليهودية من مصدرين هما العهد القديم، ويتكون من ثلاثة أقسام: القسم الأول: التوراة (خمسة أسفار)، أسفار الأنبياء الأولين والمتأخرين(21سفرًا)، الكتابات(11سفرًا). القسم الثاني: التلمود وينقسم إلى تلمودين: تلمود بابل، وتلمود أورشليم، والقسم الثالث: الإنجيل (مت، لوقا، يوحنا، مرقص). ينظر: موفق العطار، الأصولية في الديانات السماوية، دار الرشيد، ط1،دمشق،2002م، ص343.

(12) Joseph Barkly ، the Talmud، london، 1878،.39-38.p

(13) _ ظفر الإسلام خان، تاريخ التلمود، دار النفائس، ط8،بيروت،2002م، ص59.

(14) _ الأب. أي.بي. برانايتس، فضح التلمود، ترجمة واعد زهدي الفالح، دار النفائس، ط5، بيروت،2003م، ص56-57.

(15) ينظر: بول ديوارنت، قصة الحضارة، ترجمة محمد مروان، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ص48.

(16) سفر التكوين، الإصحاح 49. العدد 10.

(17) الأصولية اليهودية، إيمان ويل هيمان، ترجمة سعد الطويل، الهيئة العامة للكتاب المصري، القاهرة،1988م، ص180.

(18) سفر العدد 115/24.

(19) ينظر: خالد السيوطي، عقيدة المسيح المخلص وأثرها في الفكر اليهودي، وثائق المؤتمر الفلسفي الثاني عشر، جامعة القاهرة،2010م، ص515.

(20) _ هو يوسف بن ميمون من كبار مفكري اليهود وأحد أحفاد الحاخام يهوذا هاناسي الذي ألف المشناة، ولد في مدينة قرطبة الأندلس في 30 مارس 1135م ودرس في المدارس اليهودية، وعين راهبًا في كنيسة قرطبة ويعد أول من شرح المشناة بعد تأليف هاناسي لها وقضى في كتابتها سبع سنوات، هاجر إلى القاهرة وتعلم الكلدانية واليونانية وأصبح أستاذًا في فسطاط اليهود بالقاهرة، وعمل طبيبًا لصلاح الدين الأيوبي، وبعد فتح صلاح الدين للقدس بعد قهر الصليبيين ذهب إلى فلسطين وبقي فيها حتى توفي سنة1240م .ينظر: برانايتس ،فضح التلمود، مرجع سابق، ص 123.

(21) _ الأبيقورية نسبة إلى أبيقور (371 270 ق.م) فيلسوف يوناني صاحب مذهب الخير الأسمى المتمثل في اللذة والشر الأسمى هو الألم. ينظر: المعجم الفلسفي، مكتبة مدبولي، القاهرة،1983م، ص2.

(22) _ يوسف بن ميمون، هيلوكوت ملاخين، ترجمه برانايتس في فصح التلمود، مرجع سابق، ص128-129.

(23) _ المرجع نفسه، ص74.

(24) _ حسن حنفي، الأخلاق المسيحية وروح الرأسمالية، مجلة التسامح، العدد (19)، مسقط، صيف ،2007م، ص88.

(25) الأقنوم: كلمة سريانية تعني كل ما تميز عن سواه دون انفصال أو استقلال وتعني وجود ثلاثة متحدين دون امتزاج ومتميزين دون انفصال.

(26) أنجيل يوحنا 7:50-53.

(27) ينظر: يزيد حمراوي، النصرانية وإلغاء العقل، مؤسسة الإيمان الإسكندرية ، 2006م، ص70.

(28) بولس " رسالة إلى كوتينوس 3:15.

(29) محمد خليفة حسن، ظاهرة النبوة الإسرائيلية تاريخها طبيعتها موقف الإسلام منها، مركز الدراسات الإسلامية، ط1،القاهرة،1991م، ص83.

(30) القديس أوغسطينيوس (354-430م) أحد أهم القساوسة المؤثرين في الديانة المسيحية وأحد أبا الكنيسة البارزين في العصور الوسطى. ينظر: هدى درويش، نظرية الحرب العادلة في الفكر الإسرائيلي، وثائق المؤتمر الفلسفي الثاني عشر المنعقد بجامعة القاهرة ،210م، ص35.

(31) ابن خلدون المقدمة، ص111. وينظر: سهيل بطرس فاشا، المسيحيون في الدولة العباسية، در الوراق للنشر والتوزيع، بيروت ،2009م، ص87- 89.

(32) ابن كثير: أبو الفداء عماد الدين، البداية والنهاية، تحقيق أحمد أبو ملجم وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت ،3/224.

(33) محمد حميد الله حيدر، الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، طبعة القاهرة،1956م، ص112.

(34) ابن القيم: زاد المعاد، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1401هـ ،3/38-45.وينظر: ابن سعد الطبقات الكبرى ،1/358.

(35) ينظر: عبد الباسط محمد أمين، الإسلام وحوار الأديان، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة ،2004م، ص56.

(36) قول مأثور لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، ورد بلفظ " بم استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا " ينظر: المتقي الهندي علي بن حسام الدين بن عبد الملك، منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، دار إحياء التراث العربي، بيروت،1410هـ/1990م،4/577.فصل

فضائل الفاروق. وينظر: محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق محمد الطاهر الإسلامية، تحقيق لبنان، ط1423،1هـ/2004م، ص310.

(37) ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق محمد بيومي، مكتبة الإيمان، ط1،المنصورة،1416هـ/1995م،125/2-129.

(38) المصدر نفسه،131/2.

(39) قال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في نصارى نجران حين عبدوا عيسى عليه السلام، لما قدما وفد نجران على النبي صلى الله عليه وسلم وذلك إن أبا رافع اليهودي والربيس من نصارى نجران قالا: يا محمد أتريد أن نعبدك فنتخذك ربًا؟ فقال صلى الله عليه وسلم معاذ الله أن يعبد غير الله أو نأمر بعبادة غير الله، ما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني. فأنزل الله تعالى هذه الآية. ينظر: الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري، أسباب النزول، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ص117..

(40) كعب الأحبار: هو كعب بن ماتع الحميري ويكنى بأبي إسحاق كان عالمًا بالإسرائيليات وتفسير القرآن الكريم، وكان من أشهر المفسرين للقصص القرآني حتى كان يسمى بالحبر، وكان من الذين عاشوا في زمن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ومن جلسائه وجلساء عثمان بن عفان وعبدا لله بن عباس ومعاوية بن أبي سفيان، ولد في بيت يهودي من يهود اليمن، فأسماه عبري وهو تحريف للاسم العبري عقيبا أما أسم ماتع فهو أسم يهودي توفي قبل سنة36هـ.الموسوعة الحرة موقع جوجل الالكتروني.

(41) وهب بن منبه ولد سنة 34هـ وتوفي سنة 110هـ، يهودي يمني من ذمار اعتنق الإسلام وكان عالمًا باللغة الحميرية والسريانية والعبرانية والأرامية وله مؤلفات عدة أهمها التيجان وهو أخبار ملوك حمير وقد حققه ابن خلكان. ينظر: فاروق خورشيد، التيجان لوهب بن منبه، مجلة دراسات يمانية، مركز الدراسات والبحوث. صنعاء،1980م، ص29.

(42) ابن جريح: هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريح ولد بمكة سنة80هـ وتوفي سنة 150هـ تنقل بين مكة والبصرة واليمن وجمع وحقق المرويات التاريخية المتعلقة بالإسرائيليات. ينظر: فاروق خورشيد، المرجع نفسه، ص31.

(43) ينظر: ابن خلدون، المقدمة دار صادر، ط1، بيروت،1996م، ص326.

(44) فاروق خورشيد، التيجان لوهب بن منبه، مجلة دراسات يمانية، صنعاء،1980م، ص27.

(45) ينظر: ابن خلدون المقدمة، ص16-19.

(46) فاروق خورشيد، المرجع نفسه، ص25.

(47) اليهودية : يختلف في نسبتها إلى العبرانيين المنحدرين من إبراهيم عليه السلام والمعروفين بالأسباط من بني إسرائيل الذي أرسل الله إليهم موسى عليه السلام مؤيدًا بالتوراة أو يهوذا هاناسي أحد من دون التلمود في القرن الرابع الميلادي وتنقسم اليهودية إلى عدة فرق أهمها – الفريسيون ، الصدقيون ،المتعصبون، الكتبة أو النَّساخ، القرّاءون، السامريون وكتبهم: العهد القديم وينقسم إلى قسمين: التوراة : وفيه خمسة أسفار: التكوين أو الخلق، الخروج، اللاوين، الأخبار، العدد، التثنية، ويطلق عليه اسم أسفار موسى، أسفار الأنبياء: وهي نوعان أ) أسفار الأنبياء المتقدمين: يشوع، يوشع بن نون، قضاة، صموئيل الأول، صموئيل الثاني، الملوك الأول، الملوك الثاني. ب) أسفار الأنبياء المتأخرين: أشعيا، إرميا، حزقيال، هوشع، يوئيل، عاموس، عوبديا، يونان، يونس، ميخا، ناحوم،

حَبَقّوق، صَفَنْيا، حجّى، زكريا، ملاخي. أما النصرانية : هي رسالة أنزلها الله تعإلى على عبده ورسوله عيسى ابن مريم عليه السلام إلى بني إسرائيل بعد أن انحرفوا وأزاغوا عن شريعة موسى عليه السلام، وغلبت عليهم النزعات المادية، وافترقوا بسبب ذلك إلى فرق شتى، فمنهم من يؤمن بأن غاية الإنسان هي الحياة الدنيا، حيث لا يوم آخر، ولا جنة ولا نار، ومنهم من يعتقد أن الثواب والعقاب إنما يكونان في الدنيا فقط، وأن الصالحين منهم يوم القيامة سيشتركون في ملك المسيح، الذي يأتي لينقذ الناس، ليصبحوا ملوك العالم وقضاته كما قالت أناجيلهم الأربعة : (متى، لوقا، مرقس، يوحنا) وتنقسم النصرانية إلى عدة كنائس تبعًا لتصورها لطبيعة المسيح عليه السلام إلى :مجمع القسطنطينية والكنيسة المارونية يرون أن للمسيح طبيعتين في طبيعة واحدة ،والكنيسة المصرية المرقسية الأرثوذكسية القبطية و كنيسة الحبشة وكنيسة أورشليم الأرثوذكسية الكنيسة اليعقوبية مذهب الطبيعة الواحدة، تحت مسمى الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية والكنيسة الغربية أيضًا تميَّزت باسم الكنيسة البطرسية الكاثوليكية، كنيسة البروتستانت ليستقر قارب النصرانية بين أمواج المجامع التي عصفت بتاريخها على ثلاث كنائس رئيسة هي: الأرثوذكس، الكاثوليك، البروتستانت، بالإضافة إلى الكنائس المحدودة مثل: المارونية، والنسطورية، واليعقوبية، وطائفة الموحدين .ينظر: الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب ، الندوة العالمية للشباب ، الرياض ،العربية السعودية ،ص211.

(48) المانوية: مذهب ديني فارسي ينسب إلى ماني الذي عاش في القرن الثالث الميلادي، وهو مذهب يمزج بين المسيحية والزرادشتية القديمة بالقول بمبدأين: النور والظلمة. والمزدكية: نسبة إلى مزدك رجل دين فارسي قال بتعد الآلهات. المجوسية: هي الديانة الفارسية التي تألفت من تعاليم ماني ومزدك وزرادشت، وتعبد النار كحقيقة دينية ثابتة. ينظر: كريم زيدان وإبراهيم مدكور، المعجم الفلسفي، مكتبة مدبولي، القاهرة ،1983م، ص165.

(49) ينظر: محمود بوترعة، نشأة الفكر السياسي في الإسلام منذ السقيفة وحتى القرن الرابع الهجري، دار المصطفى، ط1، دمشق،1431هـ /2010م، ص2258 – 260.

(50) ابن خلدون المقدمة، ص429.

(51) جاء في كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ما يلي" بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من أتبع الهدى أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام أدعوك إليها أسلم تسلم ويؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواءٍ بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ". ينظر: نجدة رمضان، ترجمة القرآن الكريم وأثرها في معانيه، دار المحبة، دمشق،1998م، ص78–79.

(52) صموئيل هنتنجتون، العولمة والطوفان، مقالة صدام الحضارات، ضمن كتاب الإسلام والغرب وآفاق الصدام، ترجمة مجدي شرشر، مكتبة مدبولي، ط1، القاهرة، 1995م، ص12.

(53) هو أخد قادة الروم على عمورية أسر وأرسل إلى بغداد عاصمة الخلافة العباسية ضمن مجموعة من الأسرى ونقل إلى بغداد وسجن هناك حتى وفاته. ينظر: نجدة رمضان، ترجمة القرآن، الترجمة في العصر النبوي والراشد والأموي، ص96.

(54) عبد الراضي عبد المحسن، جدليات الفكر القروسطي ضد النبي صلى الله عليه وسلم، وثائق المؤتمر الفلسفي جامعة القاهرة،2010م، ص308-309.

(55) يوحنا الدمشقي ويطلق عليه يوحنا الأسيوي ولد في بداية القرن السادس الميلادي بين (505أو507) يهودي تنصر وعاش في بغداد وأتقن اللغة السريانية واليونانية، له مؤلفات مثل: تاريخ الاضطهاد، وتاريخ النساك الشرقيين، وتاريخ الكنيسة، توفي نهاية القرن السادس الميلادي. رد على رسالة بعث بها عبد الله بن إسماعيل الهاشمي الكندي تناول فيها حقيقة التثليث عند المسيحيين ودعا يوحنا إلى الإسلام فكتب يوحنا ردا عليها في تاريخ الكنيسة، ترجمة صلاح عبد الصبور محبوب، المجلس الاعلى للثقافة بدولة الكويت،2000م، ص89.

(56) writer at the ،the apology of al kindi 830 ،215 apd، a.n،court of al maruun< circa 1881j1887.،London

(57) leber ،corduba ،Hugo euwlogius von 16 memotilis ،apologeticus muratgrum kap petrus alvaunus indiculus،sanchium libritres luminosus 3، 24، 131.

(58) عبد المحسن، ص316-318.

(59) ابن هشام السيرة النبوية، 143/1..

(60) MAHOMETهو تحريف متعمد لاسم النبي صلى الله عليه وسلم MOHAMMED وماهوميت في الأساطير الروبية هو كل شيء يثير الخوف والرعب ولهذا اللفظ من شدة استخدامه منذ العصور الوسطى وحتى القرن التاسع عشر أصبح هذا اللفظ معادلًا موضوعيًا يجمع بين اسم النبي صلى لله عليه وسلم وكل شيء مخيف يهدد الممالك المسيحية الأوربية. ينظر: جوارافسكي، الإسلام والمسيحية، ترجمة محمود حمدي رزق، عالم المعرفة، الكويت ،1996م. ص210.

(61) عبد الراضي عبد المحسن، جدليات الفكر اللاهوتي المسيحي في القرون الوسطى ضد الإسلام، وثائق المؤتمر الفلسفي الثاني عشر جامعة القاهرة، 2010م، ص330-221.

(62) هو الطبيب اليهودي الأسباني موسى سفا ردي الذي تنصر على عهد الملك الفونس الأول ملك الأراجون وتعمد بالمياه المسيحية وسمى نفسه بطرس الرسول، وكان سفا ردي قد درس في المدارس الإسلامية في الأندلس وأجاد العربية والعبرية واللاتينية. ينظر: المرجع نفسه، ص225.

(63) المرجع نفسه، ص327.

(64) المرجع نفسه، ص325.

(65) السرازنه مصطلح يهودي أطلقه اليهود على من اتبعوا المسيح عليه السلام، وخالفوا الدين اليهودي وقد كان يطلق عليهم أتباع الناصري نسبة إلى مدينة الناصرة بفلسطين حيث عاش المسيح عليه السلام، ينظر: ظفر الإسلام خان، التلمود وتاريخه، مرجع سابق، ص111.ثم استخدمه المسيحيون في العصور الوسطى للدلالة على الشعوب الإسلامية في اسبانيا وصقلية وسوريا وشمال أفريقيا وعلى كل ما له سمة شرقية. ينظر: محسن الخوئي، العلمانية الفاصلة والعلمانية الآخر، التسامح، ع (19)، مسقط،2007م، ص153-154.

(66) المرجع نفسه، ص216.

(67) المرجع نفسه، ص315.

(68) ينظر: المرجع نفسه، ص312-314.

(69) تزفيتان تودوروف، الخوف من البرابرة ما وراء صدام الحضارات، ترجمة جان ماجد جبور، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، 2009م، ص156.

(70) notita de ،William von triplis kommentierte ،machometo tateinischdautschet texteusgabe ،vor:penglas(corpus islam – christianum ،series lotera rol 4)whrzbbrge – altenbergd 1992 .

(71) de seta mochometie ،ramonus marty de origen progressu et fine mahometiet quadrplici ruporabatine prophetdae eius trunscripliaonynotas :hernando ،introducion ،jasep en : acta historicaet ologica ،medivalia ،vl ،36. – 9 . 1983

(72) the influence of ،muntogomary wait edinturagh ،Islam on medieval Europe p.74.،1972،up

(73) ينظر: عبد المحسن جدليات الغرب ضد الإسلام، ص329.

(74) المرجع نفسه، ص370.

(75) المرجع نفسه، ص352.